الشورى
AL SHOURA

الشورى في الأمر ● العدل في المال ● الخير في الأرض

لسان حال اتحاد القوى الشعبية اليمنية

(12 صفحة) الثلاثاء: 22 ذي القعدة 1446هـ - الموافق: 20 مايو 2025م

الأستاذ زيد يتحدث بقلبه عن ذكرياته مع شقيقه وعن أحداث تاريخية في غاية الأهمية بعد عام

ص٦+٧

عدد خاص بمناسبة الذكرى الأولى لوفاة الأستاذ

القاسم بن علي الوزير

رئيس المجلس الأعلى السابق لاتحاد القوى الشعبية

اليوم والعالم يشهد جرائم في حق الإنسان كل إنسان، أن على كل إنسان على وجه الأرض أن يحترم حقوق وحرية وكرامة الإنسان وأن يجاهد ويعمل مع إخوانه في الإنسانية في مواجهة العالين في الأرض.

إبراهيم بن علي الوزير

حتى لا تغيب الأمة

اتحاد القوى الشعبية اليمنية منذ أن أعلن عن نفسه رسميا مطلع ستينات القرن الماضي، بل منذ أن تبلورت الرؤية لدى القادة المؤسسين قبل الاشتهار وهو يحمل قيم الشورى في الأمر ويؤمن بالجمهورية ومرجعية الشعب لإدارة شئونه بنفسه وعبر المشاركة الواسعة في صنع القرار، لذلك جاءت مسيرته النضالية ومواقفه الوطنية منسجمة تماما مع هذا النهج الشورى الديمقراطي الجماهيري وحتى اللحظة الراهنة..

القادة المؤسسون لهذه المدرسة الاتحادية الراسخة حملوا على عاتقهم هذه المبادئ وناضلوا من اجل ترسيخها سلوكا ومنهجا لا يقبل التراجع أو المساومة ..

الشورى في الأمر احد أعمدة الاتحاد مع عمود العدل في المال والخير في الأرض لذلك شكلت هذه الأعمدة سياجا مانعا من الانحراف أو التيه أو المزايدة، وهذا ما حافظ على بقاء ونقاء هذا المشروع الرائد الذي ظل دائما في صف الوطن واستقلاله وسيادته وأحقية شعبه في تقرير مصيره بل اتسعت مواقفه لتقف إلى جانب قضايا الأمة العربية والإسلامية والى م اهو أوسع قضايا المستضعفين في العالم تحت لواء (الإنسان أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) ..

ا لشو ر ى (الصحيفة حين حملت هذه القيم والمبادئ تعرضت لكثير من المشاكل والضغوطات من قبل الأنظمة المستبدة في بلادنا، والتي وصلت إلى أن يتم نهب مكتبها بما فيه، ومنع مواصلة إصدارها كلسان حال اتحاد القوى الشعبية منذ العام ٢٠٠٥م.

اليوم قرر اتحاد القوى الشعبية أن يستعيد هذا الصرح من جديد واختار أن تكون الذكرى الأولى لرحيل الأستاذ القاسم بن علي الوزير رئيس المجلس الأعلى للاتحاد السابق هي العنوان ليكون إحياء هذه السنوية بإحياء اسم الشورى كون ما حمله الراحل رضوان الله عليه هي قيم الشورى منهجا وفكرة ومبدأ ..

لذلك هانحن اليوم نعيد الحق إلى نصابه بعد أن تجاوزنا عقودا من الاستبداد والظلم وأصبحت اليمن تقف شامخة عصية على الإذلال والسيطرة لقوى الظلام في الداخل والخارج وتصنع حاضرا يترجم معاني النصرة للمستضعفين وينتصر للقضية الأولى والمركزية للأمتين العربية والإسلامية قضية فلسطين ومظلوميته ..

ستجد أخي القارئ الكريم في صفحات هذا العدد الخاص الذي يحيي مآثر الراحل العظيم القاسم بن علي الوزير رحمه الله كل معاني العدل في المال والخير في الأرض والشورى في الأمر حية تتحدث عن نفسها من خلال فكر سلوك ومآثر الراحل القاسم (رضوان الله عليه).

الأستاذ القاسم بن علي الوزير يتحدث عن الديمقراطية

ص٨

أفكار القاسم بن علي الوزير حول الإصلاح والتغيير في البلاد العربية

ص١٠

الطريق إلى المستقبل حسب رؤية القاسم بن علي الوزير

ص٩

لطف لطف قشاشة يبعث برسالة إلى القاسم في الذكرى الأولى لرحيله

ص١٢

عضو المجلس السياسي الأعلى الأستاذ محمد صالح النعيمي يتحدث عن الضوء الذي لا ينطفئ

ص١٢

ساعة اليقظة.. شعر للأستاذ قاسم بن علي الوزير

ص١٢

القاسم أمير القوافي قصيدة للشاعر العربي وليد الكيلاني

ص١٢

الأستاذ البغدادي وجولة في وجدان الشاعر القاسم بن علي الوزير

ص٢

اضاءات في الذكرى السنوية الأولى لرحيل القاسم يكتبها شايف النعيمي

ص٢

ناجي السهمي.. الكرامة أولاً

ص٢

الأستاذ حسن الدولة يبحر في فكر وشعر القاسم بن علي الوزير المنشور على صفحته على الفيسبوك

ص٤+٥

أحمد سليم يرثي الوالد قاسم بن علي الوزير

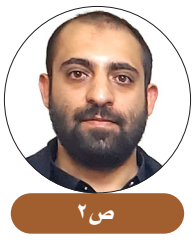

ص٢

الدكتور علي القباني يكتب عن القاسم البعيد عن المغالاة والتصنّع والتكلف

ص٣

الأديب والشاعر محمد عبدالسلام منصور يكتب عن الأستاذ القاسم مفكر وشاعر وعن كتابه ''حرث في حقول المعرفة''

ص٣

الشورى AL SHOURA
الشورى في الأمر • العدل في القال • الخير في الأرض

عدد خاص - بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل
الأستاذ القاسم بن علي الوزير رحمه الله
الثلاثاء: 22 ذي القعدة 1446هـ - الموافق: 20 مايو 2025م

جولة سريعة في وجدان الشاعر الراحل قاسم بن علي الوزير

الثورة في فلسفة القانون لها مفهومٌ يمازج بين القانون والدين والسياسة، وهذا المفهوم لامسه الشاعر قاسم بن علي الوزير رحمه الله في كثير من أعماله الفكرية والشعرية، كما هو شأن الشعراء والمفكرين الذين تسكن وجدانياتهم قضايا الوطن والإنسان بعيدا عن كل أنواع التمييز العنصري.

• عبد العزيز البغدادي

ومضمونه أن الحق في الثورة له صفة العمومية تبعاً لكون الحق في السلطة والثروة حق عام لارتباطهما بلا جدال.

وقوام ذلك في عصرنا الحق في العدالة والحرية، ومعلوم أن الإخلال بواجبات العدالة إنما تقترفه السلطة الحاكمة دائما لأنها تمارس الاحتكار المشرعن للقوة كون القوة أداة إنفاذ القانون وقبل أن تولد دولة القانون أداة تنفيذ إرادة الحاكم الفرد يستوي في ذلك العادل من الحكام والظالم!.

وينتج عن الحق في الثورة في دولة المواطنة الحديثة حق كل من يمتلك الرؤية والقدرة في القيام بها بعيداً عن تجهيل العامة وتضليلهم وسعياً للخروج من حالة الظلم والاستبداد، وإزالة أسباب انحراف مسار الوظيفة العامة في الدولة.

وقد تطورت وظيفة سلطات الدولة شكلها وأسلوب إدارتها تاريخياً من حكم الفرد إلى حكم المؤسسة، ومن مفهوم الحاكم والمحكوم والسيد والمسود إلى مفهوم دولة القانون والمواطنة المتساوية بعد أن قدمت المجتمعات تضحيات جسام ، وتختلف المجتمعات في مدى وعيها والحفاظ على مكتسباتها والاستفادة من رؤى أبنائها وإبداعاتهم ويقاس الفارق بين المجتمعات التي تقدر قيمة أبنائها المبدعين من خلال حجم العقول المهاجرة ويبدوا أن اليمن من أقل البلدان استفادة من ذوي القدرات والكفاءات العلمية وهذا من أبرز عوامل إفقارها وأسباب ذلك ينبغي أن يكون محل بحث جاد للمؤسسات العامة والخاصة ! .

إن فقيدنا من القلائل الذين ترسخت قناعاتهم بضرورة أن تقترن الأقوال بالأفعال في كل عمل عام أو خاص!.

وتبعاً لرسوخ اعتقاده بأن المذهب الديني والسياسي الذي انطلق منه ليس مقدساً في ذاته وأن المقدس وفق كل الرؤى والفلسفات وفي البعد الإنساني المعاصر هو الإيمان المطلق بجوهر وقيمة العدالة وبأن ديمومة الثورة مفهوم يستوجب ضرورة التغيير المستمر نحو الأفضل.

هذا المبدأ ينطلق من ذات الإنسان ليتجه إلى أقصى مدى يصل إليه في هذا العالم.

أي أن الثورة الحقيقية القابلة للبقاء والرسوخ والانتشار هي التي تعبُر من الإنسان وبالإنسان إلى رحاب الحب الواسعة والوئام والسلام، وهذا المعبر هو الذي يتوجب أن تجتمع فيه الصعوبة والسهولة على النحو الذي تذوب فيه ومن خلاله كل معاني الخير والتسامح!.

هذا المفهوم للثورة عند الشاعر مرهف الحس يبطل كل الثورات التي يرمز إليها بالمدفع والدبابة وكل أنواع أسلحة الدمار أيا كان مدى شموله والتي تجند خدمة لمذهب أو دين أو أي إيديولوجية انعزالية عنصرية !.

شعلة ثورة الحب باقية إلى الأبد إذا فهم الإنسان الحر كُنه هذه الثورة والواجبات التي تتطلبها لتكون قائدة له يستنير بها بالنجاة نحو الحياة التي تضمن كرامة الجميع وسعادتهم !.

وكل مذهب فكري أو ديني يؤمن بديمومة الثورة أي بما كان يعرف بمبدأ الخروج على الحاكم الظالم كواجب وحق في نفس الوقت لا يقصد بها اليوم إلا ثورة العلم الحديث بكل تفاصيله!.

وثورة ١٩٤٨ أو ثورة الدستور حلقة مهمة من حلقات الثورة المستمرة في تاريخ الحركة الوطنية اليمنية وهي أقوى دعائم ثورة ٢٦/سبتمبر/١٩٦٢ ليس فقط لأن ثورة ٤٨ قامت على أساس نظري وموضوعي كان حينها تعبيراً عن أحدث ما وصل إليه الإنسان الباحث عن الحرية الاقتصادية والثقافية استوعبت أهمية قيام العلاقة بين السلطة والمواطن على نظرية العقد الاجتماعي مستفيدين من الثورة الفكرية الفرنسية كنواة وبداية لمشاركة المواطن في صنع القرار ، وإنما أيضاً لأن من قام بها كانوا نخبة من العلماء وفئات الشعب اليمني ، ويقصد بالعلماء آنذاك وإلى اليوم علماء الدين وفقهائه ولعل هذا المفهوم قد أصبح اليوم عائقاً لأنه يعطي الفقهاء نوع من الوصاية ويساعدهم على إعاقة حركة المجتمع .

في كل عصر تولد وتموت مصطلحات كما تولد وتموت الأفلاك والنجوم والكواكب وكل مفردات الطبيعة والكون المتلئ دائما بالحياة والموت!.

المنبعثون من هذا المنطلق يدركون ما يفعلون ويفهمون أن التاريخ لا يتوقف وأن الثورة اليوم لها مبادئ وأهداف وقيم تختلف عما علموه وتعلموه في الأزمنة الغابرة ، أي أن مفهوم الثورة يتجدد باستمرار ، وهو ما يحتم بعدما عشناه ونعيشه من أحداث واضطرابات مست جميع الرؤى والمذاهب في الصميم ضرورة الابتعاد الجاد والحاسم عن الخلط بين الدين والسياسة في إدارة أعمال السلطات وجعل جميع الآراء المستنيرة في مختلف المذاهب مصدراً يقوم على الاختيار الحر لأفضل ما فيها من آراء يمكن الاستفادة منها وإعادة الاعتبار للعقل والاجتهاد ليكون العلم هو مرتكز بناء وتسيير الدولة .

ولكيلا يتوه الإنسان في التعميمات التي ينتج عنها في الغالب أحكام مطلقة جائرة يحرص الإنسان الحصيف على التمسك بالعقل والوعي والإحساس بالمسؤولية في كل الظروف والأحوال ويتشبث بالمبادئ التي تقرب طالب العدالة من مراده ولو نسبياً.

والخروج عن هذه القاعدة أيا كان مصدرها الفقهي والتاريخي وتفسيراتها يبعد الإنسان عن الصواب.

وفي هذا السياق يبقى الشعر أبرز أشكال التعبير المكثف عن وجدان الشاعر الثقافي الوطني والإنساني والسياسي والديني المتناسل والمتسلسل عبر التأريخ الطويل في البحث عن الدولة العادلة بمخزونه الإيجابي والسلبي صدق الباحثون أم كذبوا!.

وسيبقى الحال كما هو عليه كما يبدوا طويلاً إلى أن يتم استيعاب المعنى الإنساني لرفض الاستبداد والظلم كخلاصة لثورة إنسانية سلمية شاملة في عمق مشاعر وسلوكيات الثوار الحقيقيين وليس الذين يتخذون شعارات الثورة مطية لأحلامهم الذاتية المريضة.

وهذا ليس حُلماً في الفراغ لكنه نتاج إفساح المجال للإنسان الحركي ينموا داخل وجدان الفرد بما يعنيه من تنام الوعي المجتمعي المدرك لأهمية الاستفادة من كل مبدع.

من خلال مشاعره الإنسانية الفياضة نجد للجهاد والوطنية والثورة في شعر الفقيد قاسم بن علي الوزير معنىً إنسانياً ضمَّنه جل مرثياته.

ففي مرثاته الحزينة (أحزان الشفق) التي رثى بها المرحوم الراحل أحمد بن محمد عبد الله الوزير يقول الشاعر المرحوم قاسم بن علي الوزير واصفا ثورة ١٩٤٨ ورجالاتها:

أرست على قيم الدستور يقظتها
فنورت وأنارت أقوم السبل
سارت على هديه الميمون وانطلقت
به الجماهير ملء السهل والجبل
هذا الفقيد المسجى من طلائعها
بلا ادعاء ومن روادها الأولُ

(مجموعات قاسم بن علي الوزير الشعرية – ص ١٩٠).

من حيث الواقع التاريخي معلوم المآل المأساوي لثورة ١٩٤٨ولكن من الضروري كذلك قراءة الأحداث بصورة فيها القدر اللازم من الأنصاف والأمل وهو مالا يكون في مثل هذا الحدث الثوري البارز إلا من خلال مراجعة شجاعة من قبل جميع الأطراف ولكل تفاصيل الحدث والواقع البائس الذي قامت الثورة من أجل تغييره، وكذا دراسة أسباب فشل الثورة وعدم تمكنها من تحقيق أهدافها ورسوخها.

ورغم هذا المآل فقد سجلت حضورها في التأريخ وفي خبايا الصبح الذي بشر الشاعر الوزير بمقدمه في قصيدة (عودة الغريب) التي قالها في وداع سعيد رمضان :

(الصمت مضروبُ الجران على
جنباتها والقهر والغضبُ
وكما علمت فإن موعدهم
في الصبح .. إن الصبح يقتربُ
الشمسُ طالعة ويعجزهم
في صدها مهما طغى الطلبُ)

نفس المصدر السابق ص ٣٤٧- ٣٤٩)

ومن خلال مشاعره الإنسانية الفياضة نجد للجهاد والوطنية والثورة في شعره معنىً إنسانياً عميقاً ومكانة رفيعة ، يقول في قصيدة : مهداة لروح أحمد يحيى المداني – الفقيد الذي لم يفقد :

(أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البناء
وإن عاهدوا وفوا..وإن عزموا شدوا)

المصدر السابق ص ٢٣٤).

وللإيمان عنده معنىً ثورياً وإنسانياً واضح المعالم:

(اللـه للأحرار ألّـف بينهم
حربُ الطغاة ونصرة الضعفاء)

وهذا المعنى ينبذ المذهبية والطائفية بكل صورها وأشكالها وهو مرض تعاني منه الدول الأكثر تخلفاً.

نعم هدف الأحرار نصرة الضعفاء وليس التحالف مع الفاسدين واتخاذ الكذب سياسة والتضليل منهجاً وفقاً لمبدأ الغاية تبرر الوسيلة أو ما يطلق عليه التقية عند فرق الباطنية!!.

والحرب المشروعة بنظر الشاعر هي الحرب الدفاعية وحدها ولا تدخل ضمنها بالتأكيد ما تطلق عليه الدول والجماعات التي تعشق الحروب وتؤل لمن يدعون الجهاد باسم نصرة المستضعفين وسلوكهم أبعد ما يكون عن الحرص على إحقاق الحق ونصرة المظلوم، وفي هذا السياق تقوم الشعوب والدول بالحروب بالحرص على معادلة القوة التي تتحقق من خلال الموازنة بين العلم وقد حرص الشاعر على أن يرمز إليها بالقلم مع السيف الذي لا يعتدي ولا يغتصب:

(صحت الشعوب على هدى قلمٍ
منهم وسيفٍ ليس يغتصب)

من قصيدة: عودة الغريب المصدر السابق ص ٣٤٧).

أما في مرثاته الشجية التي نعى فيها أخته فقد عبر عن مشاعر مهتاجة ومنها هذا البيت:

(ليس في الموت ما يُخاف ولكن
قد خشيناه إذ جهلنا رحابه)

المصدر نفسه ص (٤٤٤) من قصيدة – على قبرها.

إن من يرى رحاب الموت يدرك هموم الحياة كلها والتي يجب أن تتركز في السعي من أجل السلام الحقيقي الذي يبدأ من ذات كل فرد يهتم بالسلام ليشمل العالم، وهذا المفهوم هو غاية كل الثورات والمسكونين بهذا الهم يدركون معاني التضحية بكل غال ورخيص من أجل تحقيق هذه الغاية ليس بالمجازفة بالأرواح وإنما بالعلم والحكمة والوعي والثبات الصادق على الحق وقيم العدل والحرية، وبهذا المنهج ندرك معالم رحاب الموت التي أشار إليها الشاعر.

إن الشعر كائن له حياته التي تعكس حياة مبدعه ولكل مرحلة تاريخية شعرها المعبر عما وصل إليه الشاعر ومجتمعه والبيئة الأدبية من حيث الشكل والمضمون والمستوى الجمالي الذي يبعثه في النفوس!.

في رثاء الوالد قاسم بن علي الوزير

لقد أخذني رحيلك إلى مناطق سوداء في قلبي لم أتجرأ أن افتحها ، أريد أن أكذب ما سمعت . لقد خلط رحيلك الحقيقة بالجنون ، لماذا رحلت بهذه السرعة ، لماذا يا والدي وأستاذي وصديقي الذي لم أعرفه إلا منذ بضع سنوات، ثمانين ونيف عام من عمرك لم احظ منها سوى بساعات قليله .

أتظن أن حزني مبالغ به ،ربما أظن ذلك أيضاً لكن ما في اليد حيله، أحياناً نحزن ونفرح و نحب ونكره لا ندري لماذا، المشاعر شي غبي إذا انفجرت ضاع سلطان العقل و غابت الحكمة ،فهل الاختباء يساعد في حزمها ،لقد رحل أشخاص عاشرتهم لم احزن هكذا على فراقهم ، لماذا كل هذا الحزن عليك ، ربما لأن مئات الحوارات حدثت معك في مخليتي عندما أقرأ لك كتاب أو قصيدة.

يا والدي قاسم سامحني ،أرجوك سامحني، فأنت الأب العطوف الذي ابتلاه الله بالولد الشقي، وأنت الكريم الذي استنزفته، وأنت وأنت وأنت وأنا وأنا وأنا ..

لقد تغير شي كبير برحيلك، أصبحت كالعاري يبحث عن ورقة التوت لتستره إلا انك كنت تلك الورقة ، فقد علمت الكثير من مصائبي وبعد ستر الله سترتها.

أبي الغالي لقد رحلت وتركت لنا وللوطن إرث كبير، و هذا الشيء ما نفخر به ، إلا انه يترك على كاهلنا حمل ثقيل، وأمانه عظيمة يجب أن نحافظ عليها ونصونها.

أبي الغالي صحيح أن مرضك كان طويل ورحيلك متوقع وهذا سنة الله في الكون، إلا أن صدمة رحيلك توازي صدمة رحيل شهيد، ربما لم تقتل بطلقة ولكنك قتلت بألف طلقة من المعاناة و الكذب وقابلت كل ذلك بالصبر و الاحتساب.

أبي الغالي كم قابلت الإساءة بالإحسان، و الفقر بعزة النفس، والغنى بالجود، و المصائب بالصبر والتجلد، لقد قابلت النجاحات بالتواضع، والفشل بالحمد لله والتوكل.

في محيط الأسرة، كنت أبًا للجميع، مربيًا حكيمًا، يحتوي أفراد أسرته بصدر واسع وصبر نادر. لم تكن تستعجل الرد أو الحكم، بل تدرس الأمور بعناية، وتجيب بعد يوم أو أكثر، فتخرج كلماتك كأنها وحي حكيم، لا تطرق الآذان فقط، بل تصل إلى القلب مباشرة. من عرفك، عرف رجلاً عاش الغنى والفقر والغربة، فكان أكثر الناس تواضعًا، وألطفهم لسانًا، وأصدقهم فراسة.

في فضاء المجتمع،كنت صاحب يدٍ بيضاء، امتدت بسخاء إلى القريب والبعيد، إلى من يعرفك ومن لا يعرفك. لم تسأل يومًا عن فكر أو انتماء، بل كنت تسأل عن الحاجة، وتغيث الملهوف، وتواسي اليتيم، حتى أصبحت أبًا لكثير من الأيتام في اليمن وخارجها. لم تبخل بمال ولا عاطفة، وأتيت ربك بقلب سليم وأنقق كريم.

وفي ميدان الأدب ، كنت الشاعر المرتحل، المغترب ببدنه، المقيم في وجدان أمته. كان شعرك مرآة صافية لذاتك، صادق العاطفة، نبيل المعاني. غنّى للقدس، وبكى العراق، وحفّز على الجهاد، وعاتب الضعف العربي، وقارع الطغيان. لم يكن شعرك بكاءً، بل نداءً. قال عنك كبار الأدباء والنقاد العرب، كالراحل راشد المبارك، ود. أحمد الساعي، ومطهر شهاب، والمقالح، لأنك كنت شاعرًا بمستوى المرحلة والرسالة. ولا انسي إحدى قصائدك الذي هجوت فيها الحكام : فكان القاسم يقارع الحكام بشعره قائلا في إحدى قصائده: تجبروا كي نرى فيهم جبابرة أمثال هارون أو أمثال معتصمُ..

ليسوا جبابرة لكن زبانية فللجبابرة بعض الزهو الشممُ..

سل اليهود وسلهم هل ترى رجلا لولاهم لم تكون صهيون أو تدمُ

في ساحة السياسة،عُرِسَ فيك الوعي الثوري منذ فشل ثورة ١٩٤٨، فكنت من السابقين المؤسسين لحزب اتحاد القوى الشعبية مع والدنا إبراهيم الوزير في عام ١٩٦٠، وساهمت في صياغة دستور الجمهورية، وعُيّنت مستشارًا سياسيًا للرئيس السلال، ثم اخترت طريق المعارضة عندما رأيت التنازع على السلطة والانحراف عن المبادئ. رفضت المناصب والمغريات، وكان آخرها عرضًا من الرئيس علي عبد الله صالح لتولي وزارة الخارجية، فآثرت أن تكون صوت الضمير، لا بوق السلطة.

قلت في واحدة من قصائدك:

أخفي الجراح بنفسي وهي قاتلةٌ *** وأمنح الناس مني الوجه جذلانا.

فليشرب الناس من كأسي مشعشعة *** وأحتسي دون خلق الله نيرانا.

يا من يرى الوردة الحمراء باسمة *** دمي جرى في عروق الورد ألوانا.

رحلت يا والدي وقد تركت لنا إرثًا نفخر به، لكنه يضع على عاتقنا مسؤولية عظيمة، أمانة يجب أن نصونها ونواصل حملها. رحيلك، وإن كان متوقعًا بعد معاناة طويلة، إلا أن وقع الفقد مؤلم، وصدمة الغياب موجعة، لا تختلف عن فجيعة الشهداء.

عهداً علينا أن نسير على خطاك و نتبع سنتك و نقول قولك حتى إذا دخلت جحر ضب دخلنا، ليس ذلك تعصبا أعمى منا ، ولكن لأننا من كتاباتك عرفناك، وبأفكارنا أثبتناك، حتى إذا غضبت غضبنا و أذا أحببت أحببنا.

نسأل الله أن يتغمدك بواسع رحمته، ويجعلك في زمرة الشهداء والصديقين.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

• أمين أمانة العلاقات العامة باتحاد القوى الشعبية

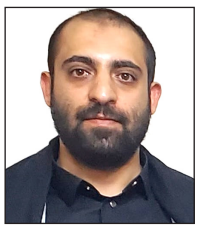

بقلم: أحمد سليم الوزير

القاسم الوزير. الكرامة أولاً

بقلم : ناجي صالح السهمي

كان الفقيد قاسم بن علي الوزير أحد أهم قيادات اتحاد القوى الشعبية، كما كان واحدا من أبرز رجالات الوطن الذين كان همهم بناء دولة يمنية مستقرة تخدم المواطن وتنهض بالوطن. قضى القاسم بن علي الوزير شبابه مع إخوانه في رحلة سفر طويلة بعيد ثورة ١٩٤٨ الدستورية وإعدام والدهم الشهيد الأمير علي الوزير، تنقلوا من عدن إلى السودان وإلى القاهرة، حتى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، فكانت عودتهم إلى صنعاء للمساهمة في تعزيز النظام الجمهوري وفقا لأهداف اتحاد القوى الشعبية، الذي تأسس عام ١٩٦٠، وكان له دور كبيرا في العمل على إرساء السلام باليمن، بعد أن طالت الحرب الجمهورية الملكية، وتدخلات الإدارة المصرية في كل شؤون الدولة الفتية، ما أثار حفيظة غالبية رموز الصف الجمهوري، ومنهم الشهيد محمد محمود الزبيري والمفكر الإسلامي إبراهيم بن علي الوزير، فتداعوا إلى عقد مؤتمرات شعبية مثل مؤتمر خمر ومؤتمر عمران، وصولا إلى مؤتمر الطائف، الذي كان يعبر عن اتحاد القوى الشعبية وإبراهيم الوزير إدارة ورؤية. كان القاسم إلى جوار أخيه إبراهيم مساعدا ومستشارا للحزب، وبرغم عمق فكره ومستوى أدائه السياسي والقيادي إلا أنه حرص كل الحرص أن يقدم نفسه تلميذا في مدرسة إبراهيم الوزير، ولما عرضت عليه بعض المغريات والمناصب خصوصا في الفترة الأولى من عهد علي صالح آثر أن يلتحق بأخيه وأستاذه إبراهيم ، خاصة بعد وفاة أخيهم الأكبر عباس الوزير. كان القاسم إلى جانب دوره السياسي وعطائه الفكري أديبا لامعا، وشاعرا استطاع أن يطوع الكلمة للتعبير عن مكنونات نفسه الجياشة إلى غد أفضل ينعم به كل اليمنيين. ومن أبياته الشعرية التي تفسر لماذا عاش أكثر من نصف عمره في بلاد الاغتراب، قوله:

إني أهاجر لا خوفا ولا طمعا لكن حفاظا على نفسي كإنسان لقد لخص الفقيد في هذا البيت الشعري حال اليمن حين غادرها للمرة الأخيرة، منتصف ثمانينات القرن الماضي، ونتحدث هنا عن الحالة السياسية التي وصلت حدا لا تطيقه النفوس الكريمة، إذ كان قد استشرف مستقبل اليمن من خلال أداء الرجل الأول في السلطة، وعرف أن مسايرة هذا النوع من الحكام لن تكون إلا على حساب الرصيد القيمي والأخلاقي لمن ينخرطون في خدمة الرئيس ودولة فخامته، وهذا ما لا يقبله رجال من طراز القاسم، الذي فضل العيش في الشتات محتفظا بكرامته وإنسانيته ومتطلعا إلى واقع جديد عبرت عنه قصائده الشعرية التي استجمعها ديوانه " لم تشرق الشمس بعد ". كان القاسم وهو يدعو إلى حرية التعبير يأنس إلى الإبداع ويشجع عليه، لكنه في المقابل لا يقبل بالتجديف، كون الكلمة مسئولية، وهي عنوان قائلها أو كاتبها، وكان وهو يتابع استمرار السلطة وأدواتها في استهداف اتحاد القوى الشعبية اليمنية وتفريخه تحت مسميات شتى، يرى أن الأحزاب برسالاتها لا بأسمائها، وأن الفكرة هي الأساس، فإذا غابت الفكرة بزغ الصنم. ما أحوجنا وأحوج اليمن اليوم للحرث في حقول قاسم الوزير، من أجل وطن ينعم بالشورى في الأمر، والعدل في المال، وتعود خيرات أرضه لكل المواطنين.

* أمين الأمانة الشعبية باتحاد القوى الشعبية

اضاءات في الذكرى السنوية الأولى لرحيل الشاعر والأديب والمفكر السياسي القاسم بن على الوزير

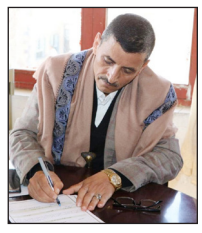

شايف صالح النعيمي*

ولد الفقيد في ١٣ ذو القعدة من العام ١٣٥٥هـ

وتوفى في ١٢ ذو القعدة من العام ١٤٤٥هـ نشأ في بيئة سياسية متقلبة حيث اعتقل وعمرة ١٤ عاما"

من مؤلفاته الشعرية ثلاثية الفراق والحزن والإشراق وهى(الشوق يا صنعاء ،أزهار الحزن ، لم تشرق الشمس بعد) وغيرها .

من أهم كتبه ومؤلفاته في الفكر السياسي (حرث في حقول المعرفة ـ في الديمقراطية- شاعرية الثورة وثورة الشاعر)

له الكثير من المحاضرات والمقالات والكتابات الهادفة لتقديم رؤى لنهوض اليمن والأمة الإسلامية وتصحيح المفاهيم الفكرية المغلوطة

تحل علينا الذكرى السنوية عنا لرحيل رائد من رواد مدرسة التنوير في الفكر السياسي والأدبي في العالم العربي والإسلامي .

من العظماء القلائل الذين جمعوا بين صدق الكلمة وعمق الرؤية وشجاعة الموقف، ثائرا" مناهضا" للظلم والنظم المستبدة وداعيا" الى الشورى والعدل والخير والحرية والنهوض والسلام، ترك المناصب زاهدا" عنها، وهب حياته مع شقيقه الأكبر المفكر الإسلامي الكبير /إبراهيم بن علي الوزير رحمهما الله واسكنهما جنات الفردوس الأعلى مع النبيين والأخيار والصالحين في مسيرة نضال طويل في سبيل اليمن وقضايا الأمة الإسلامية والدين الإسلامي الحنيف

عاش القاسم بن علي الوزير وبلده اليمن وقضيته الأساسية والمركزية القضية الفلسطينية لم يغيبا عنه وعن قلبه وفكره وأشعاره وقصائده ولهما الأولوية في مقالاته ومحاضراته وكتاباته بل أنهما مرتكز مسيرة حياته.

شخصيا التقيته في صيف عام ١٩٩٤م بمدينة جدة لأول مرة، وما أروع وأجمل ذلك اللقاء، فتمنيت لو بطول لساعات وساعات ،فهي فرصة عظيمة أن تقابل وتجلس مع قامة في الفكر والشعر والأدب وبحجم ذلك الراحل العظيم، لتنهل من بحر فكره ومعارفه ما شئت تتزود بها في مسيرة حياتك، وتوالت لقاءاتنا به خلال فترة تواجدي بمدينة جدة منذ صيف ١٩٩٤م وحتى نهاية عام ٢٠٠٠م وكانت اغلب لقاءاتنا تتم في رحاب مجالس ومحاضرات أستاذنا الكبير /إبراهيم بن علي الوزير فكان القاسم بالنسبة لي النهر الواسع اغترف منه علم و معارف و أفكار، فهو المعلم والمرشد لي أثناء عملي بمكتب الأستاذ إبراهيم بن علي الوزير رحمهما الله جميعا"خلال تلك الفترة بمدينة جدة... وبعد عودتي إلى ارض الوطن كان القاسم هو الملهم والمرشد الموجه في مختلف محطات العمل باتحاد القوى الشعبية اليمنية حتى تولى قيادة الاتحاد رئيسا للمجلس الأعلى بعد رحيل الأستاذ إبراهيم أواخر العام ٢٠١٤م في خضم ظروف قاسية وشاقة يعيشها الوطن.. فجاد وزاد حتى رحل عنا يوم الاثنين ١٢ ذو القعدة من العام ٢٠٢٤م وشكل رحيله خسارة ليس لليمن فحسب ، بل للأمة العربية والإسلامية جمعا، كيف لا وهو القاسم العالم المفكر المجاهد الأديب والشاعر الكبير الذي لا يشق له غبار ، وعزاءنا فيه أنه باق بفكرة ومواقفه ومسيرة نضاله..

نسأل الله أن يتغمدهما بواسع عفوه ومغفرته وان يسكنهما جنات الفردوس الأعلى من الصديقين والأنبياء والصالحين ونعم أولئك رفيقا.

* أمين الأمانة السياسية باتحاد القوى الشعبية

الشورى AL SHOURA
الشورى في الأمر • العدل في القال • الخير في الأرض
صاحب الامتياز
اتحاد القوى الشعبية اليمنية
رئيس التحرير
لطف لطف قشاشة
مدير التحرير
عبدالرحمن مطهر
الإخراج الفني : إبراهيم سعدان

الشورى AL SHOURA
الشورى في الأمر • العدل في القال • الخير في الأرض

عدد خاص - بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل
الأستاذ **القاسم بن علي الوزير** رحمه الله
الثلاثاء: 22 ذي القعدة 1446هـ - الموافق: 20 مايو 2025م

المفكر الشاعر القاسم بن على الوزير.. وكتابه «حرث في حقول المعرفة»

في العام الماضي، عزيت الصديق العزيز، المثّقف الموسوعي زيد بن علي الوزير في وفاة أخيه، الشاعر المفكر قاسم، رحمه الله فعبّرت له عن مشاركتي حزنه البالغ بمصابه الجلل جراء وفاة أخيه؛ ففص بعَبرته وهو يقول بصوت متهدج: "بل إنه رفيق عمري وتوأم روحي"؛ فأكدت له أن كل من عرف أخاه الفقيد قاسم رحمه الله؛ لابد أن يحزن، لفقده رحمه الله، بكونه. كما عرفتْه النخبة اليمنية. شاعرا ومفكرا وصاحب رؤية وموقف؛ فضلا عن كونه صاحب أخلاق رفيعة، وبكونه داعيا إلى رؤيته السياسية بمنهج سلمي قويم، كما عبّرت له، عن أسفي لأني لم أتعرف على شخص المرحوم ولم أحظ أيضا بالاطلاع على إنتاجه الأدبي والفكري، فبادر وأخبرني أنه سيرسل إليَّ، كتابين من إنتاج المرحوم هما (حرثٌ في حقول المعرفة)، و (مجموعات شعرية)؛ فما إن وصل إليَ الكتابان اتجهت إليهما بشغف، فبدأت بتصفح الكتاب الفكري، وثنيت بـ"مجموعات شعرية" ثم اخترت بعضا مما تضمنه كتابه الفكري فقرأتُها قراءة أولى متمنيا حينها أن يتاح لي وقتٌ لكتابة لمحات عما استخلصتُه من قراءتي الأولى لما اخترته، مما أسماها في توطئة الكتاب "محاضرات وأحاديث"، لتكون مساهمتي، بمناسبة مرور أربعين يوما على وفاته.

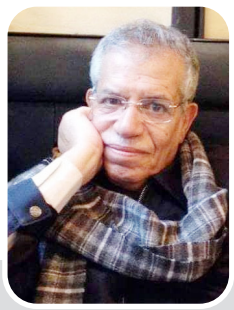

محمد عبد السلام منصور*

غير أني بعد أن فرغت من قراءة ما اخترته أدركت مدى الأهمية الفكرية للمواضيع التي اخترتها، وبالرجوع إلى ما أبانه المؤلف في مضمون توطئته لكتابه الهام، أدركت أنها ليست أحاديث كما أسماها؛ بل مجموعة من المقالات الفكرية منقولة عن المحاضرات التي ألقى معظمها على "مركز الحوار العربي" في منطقة واشنطن، المركز الذي أوضح الفقيد رحمه الله، أنه "صار ملتقىً للصفوة من رجال الفكر والعلم من العرب.. ومن أساتذة الجامعات ومن محامين بارعين ومثقفين كبار ورجال أعمال ومن كل مفكر نابهٍ من الزائرين."

إنها بحق مقالات ذات أهمية كبيرة، بما تثيره من قضايا لها أبعاد متعددة: فكرية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، تاريخية، سياسية، وهي كما أوضحَت التوطئة، مراجعات للعديد من القضايا المعاصرة التي تشغل حيزا كبيرا من حياتنا الثقافية، بكل أبعادها، كما أنها ليست محاضرات متفرقات على مواضيع شتى بل إن قضيةً واحدةً جمعتها واستغرقت كل اهتماماتها، هي قضية (النهضة) الشاغلة للفكر العربي، منذ القرن الثالث عشر الهجري، والتاسع عشر الميلادي، وأنها ما زالت سؤالا قائما حتى اليوم.

بعد قراءتي الأولى، أدركت أن الكتابة، عما اخترته من عناوين الكتاب، ستكون كتابة قاصرة، عن إعطاء الكتاب ما يستحقه من الأهمية بالنظر إلى أن محاضراته هي بنية متكاملة تتنوع مواضيعها حول قضية (النهضة)

لذلك فلابد من إعادة قراءة الكتاب قراءة متأنية أتمكن من خلالها لفت نظر القراء إلى أهمية الكتاب وضرورة قراءته، فأنا على ثقة أن المواضيع التي أثارها الكتاب ستدفع كثيرا من قرائه، بخاصة منهم المهتمين بتجاوز تخلف البلدان العربية، ستدفعهم إلى الانخراط في حوارات بين ـ مختلف الفئات الاجتماعية، والاتجاهات السياسية والرؤى الفكرية والمذاهب الاقتصادية ـ حول قضية النهضة العربية، بكونها ضرورة ملحة، يجب التعرف على ماهية الأسس التي تنطلق منها، والأهداف التي تسعى لتحقيقها والمسارات المتعددة لتكامل بنية النهضة العربية المأمولة لكل البلدان العربية، فجميعها مازالت سادرة في تخلفها، ولو بدرجات متفاوتة، فيما بينها، فبالنهضة، تتجاوز الأمة العربية واقعها الراكد، الذي استطال أمده منذ سقوط حضارة أسلافنا.

إن الكتاب يحتوي على مقدمة ضافية بقلم وإمضاء المثقف الموسوعي والسياسي المحنك/ زيد بن علي الوزير رئيس مركز التراث والبحوث اليمني، تزخر المقدمة، في مبتدئها بالعاطفة الجياشة نحو أخيه مؤلف الكتاب، فقال عنه:"هو شقيقي ورفيق دربي سرنا معا منذ سقوط الثورة الدستورية عام ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م حتى الآن في ظروف سادتها العواصف الهائجة فبدلت من يسرنا عسرا وأذاقتنا مرا"موضحا أن سيرتهما بعد مَن سبقهما لم تغير اتجاههما الدستوري رغم كل الخطوب والإغراءات، ثم عبر عن هذه العاطفة النبيلة تعبيرا صادقا، حتى امتلأ ضميره رضاً عما فاض به وجدانه من محبة خاصة لشقيقه ورفيق حياته في السراء والضراء، بهذا أسكت العاطفة حينا من الكتابة؛ حتى أزهرت كلماتُها في المقدمة بالأحكام الموضوعية المنصفة المجردة عن هذه العاطفة الصامتة الآن في أعماقه، سعيدة بموضوعيته التي عرفتُه عنه، والتزمها قلمُه، فأكد ذلك بقوله: إن "هذا هو حالي عندما أقدّم شقيقي ورفيق طريقي فلن تغلبني عاطفة ولن أقول فيما أراه إلا حقا ما استطعت إلى ذلك سبيلا."

فكتب المثقف الحصيف زيد عن أخيه الفقيد، في مقدمة الكتاب، عن تعدد شخصية أخيه بكونه شاعرا كبيرا وأديبا بليغا، وعن مدى معرفته بتاريخ الفكر الإسلامي، والتراث العربي المعاصر وتاريخ الفكر الغربي، ومضمون الفكر الماركسي، وعلى إنتاج عمالقة الفكر القديم، كالمعتزلة، والفكر الحديث كالإمام أبي زهرة، ومصطفى الرافعي، وعباس العقاد، وأحمد حسن الزيات، وأنه ـ فيما يخص الفكر الحضاري ـ تأثر بالفيلسوف مالك بن نبي، واللافت قوله " لقد تأثر بهم إلى درجة أنه لو جُمِع الأربعة لمَّلهم القاسم بن علي الوزير خير تمثيل"، وأضاف الأستاذ زيد، وحقا ما أضاف، في المقدمة: أن قلم القاسم يسيل "بالممتع من الفكر، والجميل من النثر، والبليغ من الشعر، وهو في كل من الشعر والنثر، يهدف إلى إيقاظ الفكر من غفوته، وتصحيح السياسي من انحرافه، وإخراج المجتمع من جموده."

و "بكل تلك المواهب أضاء القاسم الوزير في كتابه هذا زوايا بحاجة إلى تنوير وأشهد أنه أحسن التحليل، وأنار الطريق لمجتمع يضطرب في أكفان بالية، ولكي نفهم ما قدمته هذه المحاضرات من منا فع فلا بد من الاطلاع على مجتمع (ما بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية)" وبعد أن بين عدم شكه في أن الدولة العثمانية رغم ما بها من أخطاء كانت بمثابة السور الحامي للشرق المسلم من الاحتلال الغربي الذي حمل معه كثيرا من المفاهيم الخاطئة الغامضة التي أغرت كثيرا ممن هم ضحايا أنفسهم من هذا الشرق ليمارس بها غواياتهم، ومحو هويتهم وقد حاول "السيد جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده ومدرستهما التنويرية مقاومة تلك المفاهيم بإحياء المفاهيم الإسلامية البناءة، وشكل موقفهما وموقف مدرستهما خط دفاع أضعف الهجمة الغربية نوعا ما، لكنه لم يتغلب عليها لا بسبب من الغرب ولكن بسبب من العرب" وبعد أن بين المفكر زيد الوزير انقسام العرب بعد شتات الرؤية إلى "قسمين قسم استمر في التغريب بمفاهيمه الغامضة ولم يستفيدوا من التجربة العثمانية، فظلوا يعزفون بقياثير مكررة نفس اللحن ونفس الكلام، ومضى آخرون يلجون في نهجهم المتخلف ويرتلونها في معابد مذاهبهم".

> **"ما قدمه القاسم في كتابه فيه فهم دقيق للمفاهيم وعمق للأفكار يجد فيه الناس منارة تهدي للخروج من غياهب مفاهيمَ منحرفةٍ تعتقت ومفاهيم أخرى أضرّت"**

وألمحت المقدمة إلى ما مضمونه: أن تحَكُّم المفاهيم المبهمة، الكيدية، يشيع الثقافة الاستهلاكية غير القادرة على إيضاح مظاهر هذه المفاهيم المبهمة، وكشف بواطن كيديتها، وتجعل محاولات (النهضة) واهنة القواعد مخلخلة البناء، بما يسوق دائما إلى فساد السلطات الحاكمة، وموظفيها، وانتشار الفقر والجهل بين أفراد المجتمع، واختلافهم شيعا وأحزابا، وخلص كاتبها إلى القول"إن إدراك هذه الأمور ضرورة لفهم شروط النهضة ولفهم الخروج من سراديب الماضي لمقاومة الكيد الوافد؛ لهذا قام (القاسم بن علي الوزير) في كتابه هذا ليوضح المخرج من الغموض إلى الوضوح ومن الخلل إلى الثبات ومن الأعماق إلى السطوح، ومن ثنيات الطريق إلى الصراط المستقيم: سبيل المعرفة."

و في رأيي أنه لامس لب الحقيقة، إذ نبه بإشارة سريعة إلى أن وضوح المضامين شرط لمعرفة جلاء الطريق وأسفه من أن المضامين الإسلامية تغيرت وتبدلت والمضامين الغربية شابتها المكايد،" ولو كانتا واضحتين بدقة لما احتاج أحدٌ إلى عناء التوضيح... ومن هنا فإني واثق أن ما قدمه (القاسم بن علي الوزير) في كتابه هذا وفيما كتب من فهم دقيق للمفاهيم وعمق الأفكار سيجد فيه الناس منارة تهدي للخروج من غياهب مفاهيمَ منحرفةٍ تعتقت، ومفاهيم أخرى أضرّت"

نعم إن وضوح المضامين للإفهام سواء أكانت تعاليم دينية أو نظريات بشرية، وصحة تطابقها مع خيرية الفطرة الإنسانية، ومتطلبات العصر الحديث وأخذها بوسائله العلمية، هي الشرط الأساس في معرفة الأسس التي يجب أن تنطلق منها الأمة بكل فئات مجتمعاتها، لامتلاك وسائل (نهضتها)، وتتأكد بها قدرتها على تحديد السبل القويمة التي يجب السير عليها للبدء في بناء قواعد ثابتة للبناء الحضاري الذي تتجاوز به الأمة أسباب تخلفها والاستفادة من علوم العصر بهدف بناء حضارتها المعاصرة، المحافظة على القيم الأخلاقية الرفيعة، التي أكدت عليها تعاليم دين الفطرة الإنسانية السليمة.

توقفتُ طويلا، عند عتبات الكتاب المتمثلة في هذه المقدمة الضافية، للمثقف الموسوعي زيد بن علي الوزير، لأسباب أهمها أنها تضمنت تقييما، للكتاب، ولكاتبه، استطاع ـ بعد أن جاهد النفس على إسكات العاطفة في أعماقه ـ أن يجعله بحق تقييما موضوعيا، ولأني بعد قراءتي المتأنية للمقدمة والكتاب اقتنعت أن أحدا لا يستطيع أن يضيف إلى هذا التقييم شيئا آخر، وأما السبب الأكثر أهمية، أن المقدمة والكتاب، قدما للقراء علمين من أعلام الفكر والثقافة، يتميزان، بموسوعيتهما الثقافية التي نهلت من مصادر قديم وحديث الفكر العالمي، العربي، اليمني، فضلا عن تنوع قدراتهما، الأدبية والشعرية والبحثية، ونشاطاتهما السياسية، النظرية منها والعملية، الداعية إلى إقامة الدولة الدستورية التي دعت إلى إقامتها الثورة اليمنية الدستورية لعام ١٩٤٨ ولم يكتب لها النجاح، وهما مع أخيهما المفكر الإسلامي إبراهيم ينتمون إلى أحد أهم قادة الثورة الدستورية وشهدائها البارزين، هو علي بن عبد الله الوزير.

لقد هيأت لي هذه الخلفية مدخلا؛ لما أرغب في الإشارة إليه، إشارة موجزة؛ فأقول: إن العوامل الأكثر تأثيرا في تكوين شخصية الإنسان الفكرية والسلوكية، وتحديد اتجاهات اهتماماته، وأهداف حياته، هي طبيعة البيئة الاجتماعية التي ولد فيها وتفاعَل مع كل مكوناتها المادية، والفكرية المتمثلتين في(منظومة العلاقات الاقتصادية، والاجتماعية)، وفي(منظومة الثقافة القِيَميّة) المتجسدتين، في السلوك العملي، بين أفراد الفئات الاجتماعية المختلفة؛ فيرضعها الفرد طفلا، ويتفاعل معها صبيا؛ فتتنامى في سلوكه العملي شابا؛ وبها، وبتراكم معارفه راشدا، تتبلور رؤاه ومواقفه، وحين يبلغ النضج العقلي، يختار من الثقافات والأفكار ما يوافق رؤيته ويبرر مواقفه، سعيا إلى تحقيق مصالحه ومصالح مجتمعه الأقرب إليه فالأقرب، ابتداء من الأسرة وحتى الوطن، بل يبلغ الأمر، بالمفكر الأوسع إدراكا، أن يختار من الفكر، ما يدعو إلى ضرورة العدالة التامة، في تمتع أفراد ودول المجتمعات البشرية قاطبة، بكل الحقوق الإنسانية، بل ويعمل على إثراء هذه الدعوة فكرا وسلوكا.

فإذا ما أعملنا هذه الرؤية على حياة المفكر الشاعر القاسم بن على الوزير، وأشقائه، وموقع أسرتهم العلمي والسياسي الرفيع في المجتمع اليمني، عبر التاريخ، وما حدث لأفراد أسرته إثر ثورة ٤٨م الإصلاحية الدستورية، التي تمت هزيمتها، على يد أحمد حميد الدين، وحاضنته البيئة القبلية المتراكمة: فقرا وجهلا وعصبية عمياء، ثم إعدام قادتها، ومنهم والدهم، والزج بهم في السجن، وهم ما زالوا في مرحلة الصبا المشبوبة فرحا وسعادة بحياتهم المتطلعة إلى ما هو أسعد وأجمل مما هم فيه، وما خلّفه كل ذلك من جروح غائرة في نفوسهم وأحزان عميقة بهضت أرواحهم، زد على ذلك، إصرار الاستبداد تحريض المجتمع على السخرية منهم، واتهاماتهم بأقاويل كاذبة، وأقل ما وُصِفتْ به حالتهم الإنسانية الأليمة ما

قاله كاتب المقدمة: أنها جاءت " في ظروف سادتها العواصف الهائجة فبدلت من يسرنا عسرا وأذاقتنا مرا" إن تفصيليات هذه الحالات المتقلبة ما بين السعادة والشقاء، الانكسار النفسي، والصبر المرير، فالنهوض، ثم الانتصار المعنوي والنضال السياسي، نظريا وعمليا، من أجل الهدف ذاته الذي ضحى من أجله الآباء الشهداء بأرواحهم.

نعم إن هذه الحالات المتقلبة، فضلا عن الحاضنة الاجتماعية بكل أبعادها: التاريخية، الفكرية، السياسية، هي التي حفزت القاسم بن علي الوزير، وأشقائه، إلى تحصيل المعارف والعلوم متعددة الحقول، كما رأينا، حتى صار قادرا على إنتاج مثل هذا الكتاب المهم الذي بين أيدي القراء (حرثٌ في حقول المعرفة) لما له من أهمية في معرفة كلما يتعلق بقضية (النهضة) فمازالت هي قضيتنا المركزية التي كلما حاولنا إنجازها تعثرنا بموانع كثيرة تكمن في واقعنا المتخلف ماديا وفكريا أهمها عدم وضوح الرؤية إلى مكامن هذه الموانع سواء الداخلية منها أو الخارجية، فيأتي هذا كتاب الذي بين يد القارئ ليبين لنا مكامن هذه الموانع في تسع محاضرات، أولها (الموقف من الحضارة الغربية) وآخرها (نقاش حول الموقف من الحضارة العربية، وقد قام بتحليله الموضوعي لكل مواضيع المحاضرات التسع وبمنهج بحثي قويم، وأما أنا فقد آثرت ألّا أقوم بدراستها، أو تقديم ملخص لكلٍ منها؛ حرصا على وقوف القارئ بنفسه عند كل محاضرة لأهمية موضوعها متكامل البنية مع مواضيع جميع المحاضرات، لكني سأستسمح القارئ أن أضع أمامه منهج الكاتب في تناول موضوع محاضراته، فأختار منها مثالا هو المحاضرة الأولى:

الموقف من الحضارة الغربية:

يستهل الكاتب تحليله لموضوع المحاضرة بفقرةٍ قصيرةٍ يقول فيها:"يحسن بنا بداية أن نُعَرّف مصطلحين ونحدد قضيتين حتى لا نقع في التباس يتسبب فيه عادة اختلاط المفاهيم، واختلاف التعاريف أما المصطلحان، فهما: الحضارة _ الغرب

وأما القضيتان فهما: العلاقة بين الحضارات من حيث هي حضارة بصرف النظر عن انتسابها الزمني أو الجغرافي..

ـ العلاقة بالغرب بمعنى: هل هي علاقة به أم بحضارته؟

ويمضي القاسم بقلمه الرشيق عميق الفهم، في تحليله أولا بتقديم تعريف المصطلحين وتحديد القضيتين، ثم يسير في تحليل مستفيض في منطق بحثي دقيق يستغرق له ثماني عشرة صفحة ونصف، تتخلله مجموعة من العناوين الجانبية، والاستدراكات الضرورية، فأشبع القضية تعريفا وشرحا لكل أبعادها.

وما أردت بضرب هذا مثلا، إلا ليعرف القارئ أنه أمام كتابة منهجية صارمة التزم بها الكاتب بما يحتاجه كل موضوع من مواضيع الكتاب التي تدور جميعها حول قضية واحدة هي قضية النهضة، ولأهمية هذه القضية يجب علينا التعرف عليها بكل أبعادها التي ضمها هذا الكتاب.

* **محمد عبدالسلام منصور**
أديب وكاتب وشاعر

القاسم البعيد عن المغالاة والتصنّع والتكلف

• **الدكتور علي القباني**

مر عام على رحيل سيدي وأستاذي ومعلمي القاسم بن علي الوزير، ومع رحيله إلى رحاب ربه فقد عالمنا رجلاً في زمن عزّ فيه الرجال، ومجاهداً مؤمناً سار على درب آبائه وأجداده في الكفاح المتواصل بعد أن نذر حياته، للجهاد، ومفكراً إسلامياً فريداً، استوعب تراثه وأفرز فكراً معاصراً لمواجهة معضلات ومشاكل أمته الحالية، وسياسياً متميزاً متمرساً صاحب رؤية شاملة، واستيعاب متكامل، وقدرة فائقة على التحليل العلمي والفلسفي المحايد المتجرد لأية معضلة يواجهها، حتى يضع تشخيصاً مُفصلاً للمشكلة التي يتعامل معها، ويصل إلى عدد من الحلول التي يمكن أن تعالجها.

برحيله فقدنا شاعراً مفوهاً مُلهماً طوّع شعره لخدمة قضايا أمته اليمنية وأمته العربية وأمته الإسلامية، و في الشعر السياسي فاق أقرانه في القرنين العشرين وأوائل الواحد والعشرين، ولا أعتقد أن شاعراً استطاع منافسته في هذا المجال، ومن يتصفح ديوانه "مجموعات شعرية" يعيش في سماء شعر بديع، و يسبح في بحور شعرية متنوعة، ويسلك في دروب مجموعات القصائد ..

كان مفكراً إسلامياً من نمط معاصر فريد، مقدراً لفكر وفضل علماء النهضة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وكان يستهجن عدم دراية شباب المسلمين اليوم بفكر هؤلاء الرواد، ومحيطاً أيضاً بفكر علماء النهضة الأوروبيين والفلاسفة الغربيين، وشرح في مجموعة من المقالات كتبها تحت عنوان "الموقف من الحضارة الغربية"، وأوضح أن المسلمين في واقع الأمر انقسموا إلى فريقين في موقفهم من الحضارة الغربية وتعاملهم معها، فريق يرفض تلك الحضارة بشكل مطلق، ويرى فيها الشر بعينه متجسدا في الملاهي والبارات والأفلام الإباحية، والعربدة الجنسية، ولا يدرك أن كل ذلك ليس إلا نفايات الحضارة الغربية، بينما صلب هذه الحضارة يستند إلى الجامعات ومراكز البحوث العلمية و مصانع المنتجات والتكنولوجيا والمتاحف ومراكز الثقافة ومؤسسات المجتمع المدني، والفريق الآخر سقط في غيبوبة ومتاهة الانبهار التام بأضواء ومظاهر الحضارة الغربية، ولا يرى سوى تلك المظاهر، ولا يدرك في الواقع جوهر الحضارة الغربية مثله مثل الفريق الأول، و شرح أستاذنا مدى جهل الفريق الرافض وأيضاً الفريق المنبهر، وأوضح لنا السبيل الأمثل لفهم الحضارة الغربية وإيجابيات التعامل معها بإدراك فاهم و وعي متفتح. وكان أستاذنا لديه شغف كبير بعلم الاجتماع، وقارئ لكبار علمائه، المسلمين منهم والغربيين، وعلى رأسهم ابن خلدون، وكان يرى في الفيلسوف وعالم الاجتماع الجزائري الأستاذ مالك بن نبي واحدا من أهم علماء القرن العشرين، رغم أنه لم يحصل على المكانة و لا التقدير الذي يستحقه.

كان أستاذي القاسم على قدر من العزم عظيم مجسداً مقولة "ليس الفتى من قال كان أبي ولكن الفتى من قال ها أنا ذا" وذلك في كافة دروب الحياة. وكان واضح الرؤى، يبغض التعقيد، وقدير في تبسيطه للأمور. أذكر أنه في لقاء تليفزيوني سأله المذيع بما معناه كيف أن المسلمين الأوائل نجحوا في تفجير أعظم حضارة إنسانية عرفها التاريخ، بينما تخلف المسلمون اليوم عن ركب الحضارة وأصبحوا عيالاً على الحضارة الغربية، فكان رد أستاذنا أن المسلمين الأوائل نجحوا لأنهم ارتفعوا وارتقوا بأنفسهم إلى مستوى الرسالة التي آمنوا بها، رسالة رب العالمين، ونحن تخلفنا لأننا هبطنا بأنفسنا عن مستوى رسالة الإسلام، وحتى نستطيع أن نعود مرة أخرى إلى النجاح الذي حققه المسلمون الأوائل علينا أن نسموا بأنفسنا مرة أخرى إلى مستوى الرسالة التي ندّعي الإيمان بها. فالحل الذي يراه البعض مستحيلاً قد بسّطه أمامنا بقدرته على التحليل المقنع للوصول إلى الحل الأمثل.

وكان أستاذنا يرى أن المشاكل لم توجد إلا لكي تُحل، ولذلك لم تكن تهزه مشكلة، وكان يواجه كافة المشاكل على اختلاف أنواعها بهذه القناعة الراسخة والقدرة الفائقة على الحل.

هذا وقد صاحبت أخي وصديقي وأستاذي نحو أربعة عقود من الزمان، ويشهد الله أني وجدته نعم الأخ والأستاذ وأوفى صديق تعلمت منه الكثير من سلوكه الشخصي ومن تعاملاته ومحاضراته ومقالاته وأحاديثه العامة والخاصة، و وجدته مؤمناً صادق الإيمان في كل تعاملاته مع الناس ومع رب الناس، بعيداً عن المغالاة والتصنّع والتكلف.

و في نهاية هذه العجالة عن الراحل الموسوعي العظيم لا أملك إلا أن أدعو الله أن يسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، وأن يجعل ما أسداه من مناقب وخدمات لأمّته في ميزان حسناته، وأن يجمعني به في جنات النعيم، إنه سبحانه سميع مجيب دعوة الداعين.

الشورى AL SHOURA
الشورى في الأمر، العدل في القال، الخير في الأرض

عدد خاص - بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل
الأستاذ القاسم بن علي الوزير رحمه الله
الثلاثاء: 22 ذي القعدة 1446هـ - الموافق: 20 مايو 2025م

قراءة في فكر وشعر القاسم بن علي الوزيـــ

في مثل هذا اليوم من صباح الاثنين الموافق ٢٠ مايو ٢٠٢٤م رحل عن دنيانا المجاهد المفكر الإسلامي العروبي الكبير الشاعر والأديب "القاسم بن علي الوزير"، رحل جسدا وسيظل حيا بيننا بنورَ فكره الذي سيظل شعلة تتقد في سماء الفكر العربي. رحل عنا بشموخ الزاهدين وهدوء الحكماء، تاركا إرثا من الكفاح الفكري والسياسي، فقد كان رحمة الله تغشاه مثالًا للمناضل الجسور، المناضل الذي جمع بين قوة القلم وصدق المواقف، وفي ظل هذا العطاء المتجدد رحل "القاسم" عن دنيانا بصمت الزهاد، وورع الأولياء، وصبر المتقين، وهدوء الحكماء، وعظمة المجاهدين.

قراءة وعرض الأسيف/ حسن حمود الدولة

دخل كاتب هذه السطور بالصدفة على صفحة "القاسم" على الفيسبوك، فإذا بي أكتشف كنوزا أدبية وفكرية تليق بمقام الراحل الجليل؛ مقالات تشع حكمة، وأشعارا تختال وجدا، فانهمكت في قراءتها كأنما أرتشف من نهر كان قد جف مصبُّه، لكن ينابيعه لا تتفجر إلا في القلوب الحية. ولعل في إحياء فكر الراحل استعادة لروحه الطليقة التي ما زالت تُناجينا من بين السطور، فكل كلمة تقرأ له تُضيء شمعة في مأتم الفقد، وتجعل من الغياب حضورا يراوحُ بين الذكرى والخلود.

على أنني - وأنا غير المتخصص في علم الاجتماع والنقد الأدبي - وبضاعتي فيهما مزجاة، كنت أخشى أن تعجز كلماتي عن إدراك عمق ميراثه، لكن سلاسة لغته التي تنساب كالنسمة، ورُقيَّ طرحه الذي يتهادى بين الحداثة والأصالة، جعلا الغوصَ في عالمه الفكري سهلا ممتنعا، فكانت هذه القراءة محاولة متواضعة لالتقاط شذراتٍ من مشروع "القاسم" التنويري، عسى أن تكون - مع قصور بضاعتي - إكليلا من الوفاء يخفف قليلا من ألم الغياب، ويذكر بأن الفكر الحر لا يعرف الموت.

فسعيت إلى صياغة النص التالي عبر توظيف أدوات بلاغية بعد جهد جهيد ومحاولة مضنية فغصت في فكر الراحل للمرة الثانية حيث سبق أن كتبت قراءة لفكر القاسم وشعرة عقب الفراق ، واستعرضت صورا ك "النهر الجاف" و"الشمعة في المأتم" لربط فكره بالخلود، وخلقت تناقضاتٍ دراميةً بين الغياب والحضور لتجسيد صراع الفقد مع بقاء الإرث، كما حرصت اليوم أيضا على نحتِ أوصاف ذات إيقاع موسيقي تعكس سلاسة أسلوب "القاسم" وعذوبة كلماته، باعتباره شاعرا وناثرا من الطراز الرفيع، يمتلك ناصية الكلمة ويرسلها كنسمة عابرةٍ تمازج بين التراث والحداثة. ولم أغفلْ تواضعَ الكاتب أمام عِظَم المهمة، فبدأت بقراءة فكره من خلال النصوص التي نشرها على صفحته على الفيسبوك ثم ختمت القراءة بتأكيد قيمة المحاولة رغم القصور، كي تظل كلماتُ الراحل جسرا بين الألم والأمل، وبين الذكرى الخاطفة والوجود الدائم.

ومن خلال هذه القراءة نجد أننا أمام مفكر جبار استثنائي، وشاعر وفيلسوف من الطراز الرفيع، ومجاهد صلب صبور أفنى جل حياته من اجل أن ينشد لأمته الخير، والسعادة والرفاهية والعيش الكريم، والتقدم والتطور، وتحقيق العدل والمساواة والحرية في ظل حكم شوروي ديمقراطي، أننا أمام شاعر من فحول الشعراء ومفكر من كبار المفكرين ومجاهد جسور جاهد مع أخوته ورفاقهم ممن سار على درب الرعيل الأول من اجل تحقيقه. بذل حياته في خدمة الفكر والتجديد وفق النظرية الحديثة للفكر الحضاري "الأيستمولوجيا" والدعوة إلى الفكر الإسلامي المستنير منظرا ومجادلا ومحاضرا ومرشدا.

يجسد القاسم بن علي الوزير نموذجا فريدا للمثقف الموسوعي الذي جمع بين سعة الأفق الفكري ورشاقة البيان الأدبـي، منطلِقا من صميم الهوية العربية والإسلامية لبناء رؤية تلامس إشكاليات الواقع المعيش وتستشرف آفاق المستقبل. عرف بمنهجه المتوازن في الحوار الحضاري، حيث دعا إلى تفاعلٍ واعٍ مع المنجزات العلمية الغربية، مع مقاومة انحرافاتها المادية وآليات الهيمنة الاستعمارية التي تُهدِّد الخصوصية الثقافية. رأى في مشروع النهضة العربية تحديا مصيريا لا يتحقق إلا بتحرير الفكر من قيود الجمود، وإطلاق طاقات الإبداع عبر اجتهادٍ متجدِّد، معتبرا أن العدالة الاجتماعية والديمقراطية الحقيقية ليست شعاراتٍ سياسية عابرة، بل أسسًا لبناء مجتمع قادر على الصمود أمام التحديات الداخلية والخارجية.

وبذلك فإن فقيدنا "القاسم" قد حجز لنفسه مكانة رفيعة، كفيلة بأن يضاف اسمه في سجل الخالدين، فسجله حافل بالكثير من النقاط المضيئة، ففي النضال مكتوب اسمه مع تلك الكوكبة المضيئة في سماء اليمن من شهداء أول ثورة دستورية في الجزيرة العربية حيث ظل وفيا لتراثهم النضالي منذ مطلع خمسينيات القرن العشرين وحتى تاريخ وفاته، ففي الأدب كان شاعرا كبيرا يقف جنبا إلى جنب مع " أبو القاسم الشابي" في عذوبة شعره الوطني و"بدوي الجبل" في رقة معانيه حسب وصف علامتنا المجتهد" زيد" مد الله بعمره مضيفا بأن النقاد العرب الذين تناولوا شعره نقدا وتحليلا يشهدون له بذلك، كما انه في الفكر العربي الحديث مجدد لفكر صديقه "مالك بن نبي".

ف"القاسم" طيب الله ثراه بحق كان واحدا من عظماء التأريخ الذين وهبوا أنفسهم لخدمة أمتهم ورسموا الدرب أمام الأجيال القادمة، كما أن كتاباته تتسم بالسلاسة واليسر، إذ ينطلق من محيطه الإنساني الخاص، ليخاطب الجميع بلغة بسيطة وعميقة في آن. مختلف وجامع في نصوصه، ومدافع بشغف عن الحقيقة والوطنية، فهو بحق من الشخصيات البارزة والمؤثرة في الساحة الثقافية والفكرية على مستوى الساحة اليمنية. وكلماته ستظل خالدة، تستلهم منها الأجيال المتعاقبة الفكر والمعرفة.

لم يكن "القاسم" مجرد مفكر إسلامي أو فيلسوف حضارة، بل كان شاعرا كبيرا تحلق قصائده بين الألم الوطني والأمل الثوري، ومناضلًا جسورا شارك مع شباب جيله فرحة انبلاج الثورة الدستورية التي لم يكتب لها النجاح، وظلّ وفيا لتراثها النضالي حتى آخر نفس.

لقد تأثر "القاسم" طيب الله ثراه بمالك بن نبي حتى صار شريكا له في تشخيص علل الأمة، حيث كانا يريان - كما سنبينه فيما بعد من هذه القراءة لدراساته وبحوثه وشعره المنشورة على صفحته على الفيسبوك - أن التخلف نتاج مزدوج: "استبداد داخلي يقيد الإرادة" و "قابلية للاستعمار تُعمي البصيرة". لكنه كان متجاوزا لصديقه الجزائري بإضافة بُعدٍ ثالث: وهو دور المثقف الشاعر الذي يحول الكلمة إلى فعل، كما في "مجموعاته الشعرية" حيث مزج بين التحليل الحضاري وبلاغة الشعر، محذِّرا من اغتراب الحُكام ومنبها إلى أن النهضة لا تستورد، بل تبنى بإرادة شعبٍ يرفض العبودية، قرأ التاريخ بعين الفيلسوف، وكتبَ الشعر بقلب الثائر، وترك للأمة منهجا فريدا يجمع بين عمق التحليل الحضاري وجمالية التعبير الأدبي، لم يكن قاسم بن علي الوزير شاعراً فقط، بل كان متبحرا في "علم الاجتماع" ومفكرا عميقا سعى إلى توسيع آفاق الكتابة الفكرية لتتلاءم مع الواقع العربي والإنساني الراهن. في وقت كان يبدو فيه الشعر وقد تضاءل دوره، كان الوزير يؤمن بقدرته على خوض المعركة مع القضايا السياسية والاجتماعية المعقدة.

يجسد القاسم بن علي الوزير نموذجا فريدا للمثقف الموسوعي الذي جمع بين سعة الأفق الفكري ورشاقة البيان الأدبـي، مُنطلِقًا من صميم الهوية العربية والإسلامية لبناء رؤيةٍ تُلامس إشكاليات الواقع المعيش وتستشرف آفاق المستقبل. عُرف بمنهجه المتوازن في الحوار الحضاري، حيث دعا إلى تفاعلٍ واعٍ مع المنجزات العلمية الغربية، مع مقاومة انحرافاتها المادية وآليات الهيمنة الاستعمارية التي تُهدِّد الخصوصية الثقافية، فقد رأى في مشروع النهضة العربية تحديا مصيريا لا يتحقق إلا بتحرير الفكر من قيود الجمود، وإطلاق طاقات الإبداع عبر اجتهادٍ متجدِّد، معتبرًا أن العدالة الاجتماعية والديمقراطية الحقيقية ليست شعاراتٍ سياسية عابرة، بل أسسًا لبناء مجتمع قادر على الصمود أمام التحديات الداخلية والخارجية.

وسوف نتناول في هذه القراءة بالترتيب مبتدئين بقراءة فكره المنشور على صفحته ثم نختتم بقراءة ما نشر من قصائد ومقطوعات وأبيات من شعره المنشور فقط على صفحته ، بغض النظر عما نشره في كتابه الموسوم ب: "حرث في حقول المعرفة" أو في ديوان "مجموعات شعرة" وذلك على النحو التالي:

أولا: قراءة في فكر القاسم:

وسنلاحظ أن "القاسم" - طيب الله ثراه- في مقالاته المنشورة على صفحته قد اختار أن تكون من المقالات التي سلط الضوء فيها على التحديات التي تواجه المجتمعات العربية، بما في ذلك الاستبداد والفساد، وشدد على أهمية تعزيز الوعي الاجتماعي والسياسي لدى المواطنين. داعيا إلى ضرورة بناء مجتمع مدني قوي يستطيع مواجهة التحديات الراهنة، ويعمل على تحقيق التنمية المستدامة.

فلقد كان لدى "القاسم" - طيب الله ثراه في الجنة - إيمان راسخ بأن النهضة الحقيقية لا تأتي إلا من خلال تحرر الإنسان من القيود التي تكبله، سواء كانت ثقافية أو اجتماعية، مؤكدا أن "الإنسان هو البداية وهو المدخل" في التنمية والتقدم وتحقيق رفاهيته المنشودة مما يعكس إيمانه العميق بدور الفرد في تحقيق التغيير.

ثانيا: رؤية القاسم حول الإصلاح والتغيير في البلاد العربية

في محاضرته القيمة بعنوان "أفكار حول الإصلاح والتغيير في البلاد العربية"، يقدم "القاسم بن علي الوزير" تحليلاً عميقاً لإشكالية الإصلاح في العالم العربي، مفرقاً بدقة بين مفهومي الإصلاح كهدف نهائي والتغيير كوسيلة قد تكون إيجابية أو سلبية. يؤكد أن أي إصلاح حقيقي يجب أن ينطلق من نهضة شاملة تتحرر من التقليد الفقهي والتحجر الفكري والاستبداد السياسي، مع التركيز على إيقاظ الوعي الإنساني كمدخل أساسي للتغيير.

كما وضع أربعة محاور للاستقلال (الحضاري، السياسي، الاقتصادي، القضائي) كأركان للإصلاح المنشود، وينتقد محاولات تجزئة هذه العناصر. يحذر من الاعتماد على الأنظمة القائمة أو القوى الخارجية، ويدعو بدلاً من ذلك إلى مشروع نهضوي شعبي يستلهم تجارب النهضة التاريخية. يختتم بتأكيد خصوصية المنطقة العربية الحضارية، مشيراً إلى أن أي إصلاح يجب أن ينبع من الداخل ويتكيف مع هذه الخصوصية، مستشهداً بكتاب "شروط النهضة" لمالك بن نبي كمرجع أساسي في هذا المجال.

كما قدم رؤية نقدية تستند إلى تحليل بنيوي لأزمات المجتمعات العربية، مفرقًا بين مفهومي الإصلاح والتغيير: فالإصلاح هو "تصحيح المسار" نحو الأفضل، بينما التغيير وسيلة قد تقود للخير أو الشر. يؤكد أن الإصلاح المنشود في العالم العربي يتطلب نهضة شاملة تعيد بناء الإنسان والمجتمع عبر أربعة أركان أساسية: الاستقلال الحضاري (بتحرير العقل من الخرافة والتبعية)، والسياسي (بتحرير الإرادة الوطنية)، والاقتصادي (بالاعتماد على الذات)، والقضائي (بتحقيق العدل)

كما انتقد النظرة التجزيئية للإصلاح التي تختزله في جانب واحد (اجتماعي، اقتصادي، سياسي)، ويشير إلى أن الأولوية يجب أن تُحدد بحسب "المجال المتاح للحركة"، مع التأكيد على أن يقظة الروح الإنسانية هي المدخل الحقيقي لأي تحول. كما يحذر من إمكانية تحول الإصلاح إلى شعارات جوفاء دون آلية تنفيذ، مشيرًا إلى ثلاث فرضيات فاشلة للتغيير: الاعتماد على الأنظمة القائمة (التي نشأت من رحم التجزئة الاستعمارية)، أو على المجتمع المدني (الذي أفقدته الأنظمة الاستبدادية قدرته على الفعل)، أو على القوى الخارجية (التي تفرض أجنداتها كما في العراق)

بديلا عن ذلك، يقترح الوزير نموذجًا تحرريًا يبدأ من "الإنسان" عبر إيقاظ وعيه، وإعادة بناء مؤسساته المدنية، وخلق مشروع نهضوي موحد. يستلهم من تاريخ النهضات الكبرى (كحركة جمال الدين الأفغاني) فكرة أن التغيير يبدأ دائمًا بفكرة تتحول إلى حركة. ويوصي بالعمل السلمي التدريجي القائم على التوعية والعصيان المدني، مع الإشارة إلى كتاب "شروط النهضة" لمالك بن نبي كمرجع أساسي.

كما أكد على خصوصية المنطقة العربية كحاضنة للديانات والحضارات، مما يستدعي رؤية إصلاحية تستوعب هذه الأبعاد التاريخية والروحية. رؤيته تقدم وصفة متكاملة للإصلاح تجمع بين العمق الفكري والواقعية السياسية، مع تحذير صريح من مخاطر الاستعاضة عن الاستبداد القديم بأشكال جديدة من التبعية.

ثالثا: رؤية القاسم في التعصب الديني والحزبي وبناء الدولة الحديثة:

من المعلوم أن مفهوم التعصب يعد من المفاهيم الإشكالية التي تنتج حضورها في أدبيات العلوم الإنسانية والاجتماعية. ويمكن لنا في هذا السياق- قبل قراءة الدراستين للقاسم- أن نميز في التعصب أشكالا مختلفة ومتباينة، فهناك التعصب العرقي، والتعصب الثقافي، والتعصب الديني، والتعصب المذهبي، والتعصب الجهوي والتعصب الطائفي، ومع ذلك كله فإن التعصب في مختلف صوره وتجلياته يؤكد على جوهر واحد قوامه الانقياد العاطفي لأفكار وتصورت تتعارض مع الحقيقة الموضوعية، وقد يأخذ التعصب صورة عقيدة دينية أو سياسية متعرفة تتميز بدرجة عالية من الانغلاق والتعصب والتحجر في الفكر. ويعمل على تمزيق النسيج المجتمعي. في السياق اليمني والعربي، تتنوع أشكال التعصب بين المذهبي والحزبي والعرقي والجهوي، لكن أخطرها على الإطلاق هو التعصب المذهبي لارتباطه المباشر بالدين، حيث يتحول الاختلاف في الفروع الفقهية إلى صراع دموي يبرَر باسم القداسة الدينية، كما في حالات التكفير أو العنف الطائفي. أما التعصب الحزبي فيحول الانتماء السياسي إلى عقيدة متحجرة تُهدر من أجلها القيم الأخلاقية، وتُستبدل بالحقد والأنانية، بينما يعمق التعصب العرقي أو الجهوي الفوارق الطبقية والاجتماعية، عبر إقصاء الأفراد بناء على انتماءاتهم الجغرافية أو العرقية.

ولهذا نجد أن المفكر عالم الاجتماع "القاسم" قد تناول التعصب المذهبي والحزبي في دراسته موضوع هذه القراءة باعتبارهما يمثلان نموذجاً صارخاً للانقسامات التي تُهدر قيم الوحدة المجتمعية وتغذّي بذور الفرقة تحت شعارات زائفة. فقد كشفت الدراستان - اللتان سنقوم بقراءتهما - عن جذور هذه الظاهرة التي تحول الاختلاف الفكري أو السياسي إلى عداء وجودي، مستندة إلى تحليل تاريخي واجتماعي لسياقات التعصب في البيئة اليمنية والعربية. ولا يغيب عن هذا السياق التحذير القرآني الصريح من التشرذم في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [الأنعام: ١٥٩]، يبقى التعصب تحديا وجوديا للمجتمعات العربية والإسلامية، يتطلب وعيا جماعياً بخطورته، وإرادة حقيقية لإصلاح المنظومة الفكرية والتربوية، مستلهمين قوله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} [آل عمران:١٠٥]، فالتنوع سنة كونية، والاختلاف في الرأي لا يعني بالضرورة العداء، بل قد يكون مصدر إثراءٍ للحضارة الإنسانية حيث تُظهر الآيتان أن التمزق الديني أو الفكري يبعد الأمة عن مسارها الحضاري، ويجعلها عاجزةً عن مواجهة تحدياتها المصيرية. فالتعصب كما سنجده من خلال قراءة دراستي "القاسم" حالة خاصة من التصلب الفكري والجمود العقائدي، حيث يجسد اتجاهات الفرد أو الجماعة التي ينتمي إليها مع نبذ الجماعات الأخرى، الحزبية أو السياسية ، والتعصب الديني هو أشد وطأة على المجتمع لأنه حالة من التزمت والغلو المصحوبة بعنف شديد ويعتبر التخلص من خصمه تقربا إلى الله ، فهو حالة مرضية على المستوى الفردي والجماعي، يدفع إلى سلوكية تتصف بالرعونة والتطرف والبعد عن العقل، والاستهانة بالآخرين ومعتقداتهم ولعل تعصب النواب والروافض مثالا على ما يتضمنه التعصب المذهبي من إفتئات وعدوان، كما سنلاحظ ذلك فيما يلي:

١-العصبية الدينية

في مقال نشره على صفحته على الفيسبوك بعنوان: "العصبية الدينية" قدم من خلاله رؤية حول خطر العصبية الدينية على الإنسانية، مشيرًا إلى أنها تعكس الغلو الذي يؤدي إلى انتهاك حقوق الله وحقوق البشر. يعتبر الوزير أن العصبية تلغي المنطق وتعطل العقل، وتتناقض مع جوهر الدين الذي يدعو إلى الرحمة والتسامح. يبرز أن العصبية الدينية تُشكل خطرًا جسيمًا، حيث تخلق فرقة وتناحر بين الناس، مما يقود إلى العنف والخصومة. يتناول أيضًا تاريخ الخوارج كنموذج للعصبية، موضحًا كيف أدت إلى تدمير الذات وتمكين الباطل. في النهاية، يحذر من مخاطر العصبية ويؤكد على أهمية التعارف والاحترام بين مختلف الأديان والمذاهب، مشددًا على أن الإسلام يدعو إلى الحرية والتنوع في الفهم.

٢- في العصبية الحزبية

يتناول قاسم بن علي الوزير في مقاله "في العصبية الحزبية" الآثار السلبية للعصبية الحزبية على المجتمع، مشيرًا إلى أنها ليست أقل خطرًا من العصبية القبلية. يوضح أن تعصب الأحزاب يمكن أن يؤدي إلى إعلاء مصالحها فوق القانون والشريعة، مما يسفر عن صراعات وفوضى تؤدي إلى تفكك المجتمع. يبرز أن احتكار حزب واحد للسلطة يسبب انتهاك الحقوق ويفقد المواطنين حريتهم. كما يناقش كيف يمكن أن تؤدي العصبية الحزبية إلى تزييف الحقائق وتمزيق العلاقات الاجتماعية، مما يتيح المجال للتدخلات الخارجية. يشدد الوزير على أهمية أن تكون الأحزاب معبرة عن مصالح المجتمع بشكل عام، محذرًا من أن العصبية تمثل تهديدًا حقيقيًا لتماسك المجتمع، وينبغي التخلص منها لأنها "منتنة" ولا تخدم القيم الديمقراطية.

٣- وجهة نظر "القاسم" عن "الدولة الحديثة"

وفي بحث قيم "عن الدولة الحديثة" استعرض فيه "مفهوم الدولة" ودورها في العصر الحديث. يوضح أن فهم طبيعة الدولة الحديثة يتطلب إدراكـا عميقًا لوظائفها، حيث أصبحت الدولة تجمعًا معقدًا يهدد حرية الفرد بينما تسعى في ذات الوقت لتنظيم المجتمع وتقديم الخدمات. يؤكد الوزير على أهمية سيادة القانون كشرط أساسي لوجود الدولة الحديثة، محذرًا من أن غياب هذه السيادة يؤدي إلى سلطات غير مشروعة.

كما حدد بدقة سمات الدولة الحديثة، مؤكدًا على ضرورة أن يكفل القانون حقوق الإنسان وكرامته، وأن يكون مصدره هو الشعب نفسه.كما يرى أن الدولة يجب أن تكون مسؤولة عن توفير الضمانات الاجتماعية وتحقيق رفاهية المواطنين. كذلك يعبر عن ضرورة المحافظة على سيادة الدولة وسلامة أراضيها وتعزيز دورها في العالم.

وسلط فقيدنا المفكر الكبير الضوء على أن الإسلام قد سبق إلى مفهوم الدولة الحديثة من خلال مبادئ العدالة والحرية، ويشدد على أهمية التمسك بالقيم الإسلامية كوسيلة لدخول العصر الحديث. يُنبه إلى أن القطيعة مع القيم التراثية لن تؤدي إلا إلى المزيد من الانحطاط. في النهاية، يؤكد على أن الدولة الحديثة يجب أن تكون في خدمة المجتمع، وأن تكون الحقوق والواجبات متكافئة بين جميع المواطنين، مع ضرورة التزام الدولة بتطبيق القانون. وينتقد الواقع العربي حيث تتحول "الدولة" إلى مجرد سلطة تسلطية، تفرض القوانين دون أن تقدم الخدمات الأساسية. كما يربط بين المفهوم الإسلامي الأصيل للدولة ككيان خدمي مجتمعي، وبين متطلبات العصر الحديث، داعياً إلى استلهام القيم الإسلامية في بناء دولة عادلة.

وخلص "القاسم" رحمة الله تغشاه إلى أن الدولة الحديثة ليست غريبة عن التراث الإسلامي، بل هي امتداد لمفاهيم العدل والشورى، وأن المشكلة ليست في الموروث بل في الانحراف عن المبادئ الأصلية.

رابعا: رؤية الفقيد حول «ثورات الربيع العربي»

ففي خضم الموجة الثورية التي اجتاحت العالم العربي والتي أطلق عليها ثورات الربيع العربي ومنها ثورة الحادي عشر من فبراير ٢٠١١م، قدم المفكر العروبي الإسلامي الأستاذ القاسم بن علي الوزير قراءةً استثنائيةً لطبيعة تلك التحولات، راصدًا إياها ك"انفجار للغيظ المكبوت" الذي تحوّل إلى ثورة سلمية باهرة. ما يميز هذه الثورات - بحسبه - ليس مجرد حدوثها، بل اختيارها لأسلوب اللاعنف رغم أن التاريخ يربط الثورات عادةً بالعنف. فهي إذن إضافة جديدة لقاموس الثورات العالمية، تختلف حتى عن حركة غاندي التي كانت مقاومة سلبية ضد مستعمر خارجي، بينما الثورات العربية هجوم سلمي ضد طغيان داخلي، يعتمد على قوة التضحيات والصبر في مواجهة الرصاص.

لكنه طيب الله ثراه نبه إلى أن غياب الرؤية المشتركة للمستقبل شكل خطرا داهما على هذه الثورات. فالشعوب اتحدت ضد النظام القديم، لكنها تفتقر إلى تصور موحد للنظام البديل، مما فتح الباب أمام مخاطر جمة منها عودة النظام القديم بأشكال جديدة، بدعم من قوى الهيمنة الخارجية.

رغم هذه التحديات، فقد كان "القاسم" رضوان الله عليه يرى أن الثورات حققت انتصارا جوهريًا: إسقاط "عامل الخوف" الذي كان أداة النظام الأساسية. فبزوال الخوف، انفتح المجال لاستعادة الكرامة والإرادة الشعبية. لكن الضمان الوحيد لاستمرار الثورة - يؤكد - هو بقاؤها في يد الجماهير، عبر فعل يومي يقظ في الشارع والمصنع والجامعة، يقاوم محاولات الاحتواء والانحراف.

هكذا قدم لنا فقيد اليمن والأمة العربية والإسلامية "القاسم بن علي الوزير" رؤية تنبؤية جمعت بين تحليل اجتماعي عميق وإيمان بقدرة الشعوب العربية على صنع مصيرها، محذرًا من تحول الثورة إلى مجرد صراع بين نخب جديدة، بدلا من أن تكون تحررًا حقيقيًا من الاستبداد بكل أشكاله.

خامسا: في دراسته القيمة بعنوان: «مراجعات وتأملات فكرية في مفترق قرنين»

قدم "القاسم" رؤية تحليلية للتحولات العربية حيث تناول فيها مسيرة العالم العربي عبر قرن كامل (١٩٠٩-٢٠٠٩)، بوصفها صراعا بين تيارات ثلاث: إصلاحي تجديدي يسعى للنهضة، وتقليدي منغلق على الماضي، وتغريبي يقلد الغرب دون وعي، وسلط الضوء على التناقض بين الشعارات البراقة (التحرير، الوحدة، التقدم) والممارسات الفعلية للحكام العرب الذين أفرغوها من مضمونها بغية ضمان بقائهم في كراسي الحكم .

كما رصد طيب الله ثراه في الجنة تحولا مأساويا من الحلم بالتحرر من الاستعمار إلى الوقوع في فخ التبعية، ومن التطلع للوحدة العربية إلى تعميق التجزئة، ومن الاندفاع نحو الحداثة إلى انتكاسة الفكر.، لكنه كان رحمه الله يرى في المقاومة الثقافية والسياسية، وفي صحوة الشعوب العربية، بذورا لتجدد قد يفضي إلى صحوة جديدة، رغم كل التحديات والعقبات.

كما أكد "القاسم" رحمة الله تغشاه إلى أن الاحتكاك بالغرب خلال القرن التاسع عشر أفرز تيارين رئيسيين: تيار الإصلاح والتجديد، الذي مثلته مدرسة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، والتي دعت إلى إحياء الاجتهاد الفكري والديني، وربط العلوم الدينية بعلوم العصر، وفتح باب الحوار مع الحضارة الغربية دون ذوبان الهوية، وتيار التقليد، الذي انقسم إلى تقليد ماضوي (التمسك بتراث عصور الانحطاط) وتقليد غربي (تقليد مظاهر الحداثة دون جوهرها)، مما أدى إلى جمود فكري وسياسي. يبرز الكاتب كيف أن الاستعمار لم يكن غزوا عسكريا فحسب، بل شمل هيمنة ثقافية وتعليمية هدفت إلى تفكيك النسيج الاجتماعي، عبر فرض قيم استهلاكية ومناهج تعليمية تخدم مصالحه، مما ولد أزمة هوية عميقة. يحلل الوزير محاولات السلطان العثماني عبد الحميد الثاني لإنقاذ إمبراطوريته عبر الجامعة الإسلامية كإطار يوحد الشعوب تحت مظلة الخلافة، لمواجهة التوسع الاستعماري، وإثارة الصراعات بين القوى الأوروبية لإضعافها وشراء الوقت. لكن هذه المحاولات باءت بالفشل بعد الإطاحة به عام ١٩٠٩، وسيطرة حزب "الاتحاد والترقي" الطوراني، الذي حول السياسة إلى "تتريك" قسري، مما أطلق شرارة النزعات القومية المتنافرة، مثل العروبة في المشرق العربي. يرصد الكاتب كيف تحولت الثورة العربية الكبرى (١٩١٦) إلى "خديعة تاريخية"؛ إذ استغلت بريطانيا أحلام العرب بالاستقلال، ثم جزأت المنطقة عبر اتفاقية سايكس-بيكو، لتصبح دويلات هشة تحت الهيمنة الاستعمارية.

ورغم سقوط المشروع الوحدوي، بقيت الفكرة حية في الوعي الجمعي، لكنها اصطدمت بالقطرية المصطنعة وأنظمة ديكتاتورية حولت الشعارات إلى أدوات لشرعنة الحكم. يفرق الوزير بين التحرر (كهدف سلبي: التخلص من الاستعمار) والحرية (كفعل إيجابي: بناء مؤسسات ديمقراطية وعدالة اجتماعية).

وأشار إلى أن العالم العربي حقق التحرر السياسي الشكلي، لكنه وقع في فخ التبعية الاقتصادية والثقافية، حيث حلت "العبودية للأنظمة" محل "العبودية للاستعمار"، مدعومة بثقافة قمعية أخمدت الحريات وحولت المواطن إلى "رقم" في معادلة السلطة. لطما أنتقد "القاسم" المقلدين للحداثة الغربية الذين تجاهلوا خصوصية التجربة العربية، فدعوا إلى قطع كامل مع الموروث الديني، متناسين أن الحداثة الأوروبية نفسها تأثرت بتراثها الإغريقي والإسلامي. في المقابل، يؤكد أن مشروع الإصلاح الإسلامي (الأفغاني وعبده) قدم رؤية متوازنة تجمع بين العقل والوحي، وتستلهم التراث دون جمود، مما يشكل أساسا لحداثة عربية متميزة ثم يقدم لنا رؤية تفاؤلية رغم الإحباطات؛ فالهزائم كهزيمة: (١٩٦٧) أيقظت روح المقاومة، وأثبتت أن الأمة قادرة على استعادة زمام المبادرة، كما في انتصارات المقاومة.

سادسا: رؤية القاسم في الحرب على اليمن التي لم تخمد بعد:

لقد وقف الأستاذ قاسم ضد الحرب على اليمن؛ ففي مقال له بعنوان "إيقاف الحرب وتحقيق السلام ليستا قضية واحدة"، دعا فيه إلى إرساء السلام في اليمن وفق رؤية عادلة لا يختلف عليها اثنان، لكنها السياسة التي ما دخلت في شيء إلا أفسدته حيث تحضر المصالح. ويعلو صوت تجار الحروب وكان مما قال في هذا المقال الذي يعتبر خارطة طريق لوقف الحرب :: (إنّ الخطة المثلى والأدعى إلى النجاح والتوفيق هو أن يجتمع لذلك كل الساعين لإقامة العدل. وكل العاملين لتحقيق السلام؛ أي كل من يرون الرأي ذاته ودون استثناء، أو إقصاء لأي كان فردًا، أو حزبًا، أو هيئة، أو جماعة فعالة. فإذا

الشورى AL SHOURA
الشورى في الأمر • العدل في القال • الخير في الأرض

عدد خاص - بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل
الأستاذ القاسم بن علي الوزير رحمه الله
الثلاثاء: 22 ذي القعدة 1446هـ - الموافق: 20 مايو 2025م

ـــــر المنشور على صفحته على الفيسبوك

اجتمعوا تدارسوا الأمر بكل جوانبه وخلصوا إلى "مشروع" متفق عليه بينهم تتكوّن على أساسه "كتلة" تنهض بالأمر دون تجاوز لفئة أو تحيّز لجهة.)

وقال طيب الله ثراه في الجنة أيضا: (لقد آن للجميع أن يستشرفوا أفق مستقبل جديد؛ وذلك بالتداعي إلى كلمة سواء، ورأي جامع يؤلف وحدة موقف منبثق من وحدة تصوّر يسفر عن عقد اجتماعي ليس بين الحاكم والمحكوم فحسب، بل بين قوى المجتمع كلها؛ عقد قائم على العقيدة الواحدة التي تجعل المؤمنين إخوة، وعلى الوطن الواحد الذي يجعل المواطنة المتساوية أساس تلاحمه ووحدته وعلى العدل الشامل الذي يحرسه ويصونه).

سابعا: موقف القاسم من الحضارة الغربية:

إن ما كتبه الأستاذ قاسم، وخاصة موقفه من الحضارة الغربية التي يقف منها كثير من الناس بين طرفي نقيض كما يقول الأستاذ قاسم- رحمه الله-، حيث يصدر أحدهما عن "عقدة الخوف"، وهو الذي يتوجس من الحضارة الغربية، ويراها كلها شرا محضا، وبين الآخر الصادر عن «عقدة نقص»، وهو يرى أخذ هذه الحضارة برمتها، والمشي في ركابها بخيرها وشرها- يضعه ضمن قلة قليلة من المثقفين العرب ذوي المرجعية الإسلامية المستنيرة التي تتوسط بين أمرين؛ وذلك في رؤيته لمحاسن الحضارة الغربية، وضرورة الاقتباس منها، وفي الوقت نفسه عدم الغفلة عن نقائصها التي تتعارض مع قيمنا، والتي قد تودي بهذه الحضارة إلى هوة الانحلال والفناء.

يقول حكمة بليغة وقاعدة معيارية لقياس أخلاق المجتمع فقال طيب الله ثراه انه: "تقاس أخلاقية المجتمع بمدى إمكانية ضمان شروط الاعتراف المتبادل بين الأفراد". ونرى أن مسئوليتنا جميعا هو التعريف وحسن التقدير في إبراز ما لهؤلاء الأعلام من آثار قيمة خدموا بها وطنهم اليمن وأمتهم العربية والإسلامية بفكرهم المستنير ومواقفهم الوطنية النبيلة.

وهنا نقف على مدى عمق تفكير القاسم وقدرته على تأسيس مشروع حضاري من خلال بيئة الفكر الغربي بما يتوافق مع طبيعة المجتمعات العربية والإسلامية، وهو يسترشد بفلاسفة الإسلام الذين هضموا المنطق والفلسفة اليونانية، وقدموا رؤية فكرية عظيمة لكنها وئدت وتم إحراق كتبهم.

ثامنا: ردود القاسم على أسئلة في حلقة نقاشية نظمها مركز الحوار العربي في واشنطن:

حيث تحدث المفكر اليمني "القاسم بن علي الوزير" عن موقف العرب من الحضارة الغربية، معرفا الحضارة بأنها بناء على رؤية صديقه العالم الاجتماعي الجزائري "مالك بن نبي" رحمهما الله، حيث وصفها "القاسم" بأنها مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح للمجتمع أن يقدم لأفراده المساعدة في كل مراحل حياتهم، كما أوضح أن الحضارة الغربية تعتمد على فلسفة مادية تلغي دور الدين وتعتبر الأخلاق ناتجة عن التطور، وتهدف إلى القوة من أجل القوة كما أشار في هذا الحوار الذي استمر زهراء الساعة وأكثر أشار "القاسم" طيب الله ثراه إلى أن الحضارة الغربية استلهمت أبعادها من حضارات سابقة، منها البعد العلمي من حضارة الإسلام في الأندلس، كما دعا إلى أن يكون موقف العرب من الحضارة الغربية مبنيا على التكامل والتفاعل، مع الاستفادة من جوانبها الإيجابية مثل الحريات العامة والتقدم التكنولوجي، ومعالجة أمراضها وانحرافاتها. وقد حدد "القاسم" ثلاث عوائق تقف أمام دخول العرب في موكب الحضارة: فترات الانحطاط الحضاري والثقافي، الاستعمار الغربي، والحكم العسكري والدكتاتوري. أكد على ضرورة إيجاد تيار عقلاني عربي متنور لتشكيل فلسفة حضارة عربية جديدة. في المناقشة، أكد الدكتور محمد الفنيش أن العالم العربي يمر بمرحلة ركود كمقدمة للنهوض، استنادًا إلى نظرية توينبي حول التحدي والاستجابة. أما الدكتور صادق سليمان فرأى أن العرب والمسلمين ليسوا خارج موكب الحضارة، بل في حالة حضارة معطلة تحتاج إلى جهود لتنشيطها وإنعاشها. إعادة صياغة الأسئلة والإجابات بطريقة أكثر جاذبية.

وفي رده على سؤال: ما هو تعريفك للحضارة وكيف ترى الحضارة الغربية؟ أجاب "القاسم" بأن الحضارة هي مثل الجسم الحي الذي يمدنا بكل ما نحتاجه منذ الطفولة حتى الشيخوخة - المدرسة، العمل، المستشفى، وكل ما يجعل حياتنا أفضل. أما الحضارة الغربية، فهي كالطفل الذي يلعب بالألعاب المادية ويهمل الأخلاق والدين.

هي تسعى للقوة من أجل القوة، وهذا ما جعلها تنتج أسلحة تستطيع تدمير العالم عشرات المرات! ففي رده على سؤال: كيف ترى موقف العرب من الحضارة الغربية؟

رد القاسم قائلا: يجب أن نتعامل مع الحضارة الغربية كما نتعامل مع جيراننا - نأخذ منهم ما هو جيد ونتجنب السلبيات. نستفيد من الحريات والتقدم التكنولوجي، لكننا نحتاج أيضًا أن نحافظ على هويتنا ونصحح انحرافاتهم مثل الاستعمار والهيمنة.

وفي رده على سؤال: ما هي العوائق التي تقف أمام دخول العرب في موكب الحضارة؟ أجاب بأن: العوائق كثيرة، لكن الرئيسية ثلاث: أولاً، فترات الانحطاط الحضاري والثقافي التي عانينا منها. ثانيا، الاستعمار الغربي الذي أوقفنا. ثالثا، الحكم العسكري والدكتاتوري الذي أخمد الحريات والإبداع. لنخرج من هذا الجمود، نحتاج إلى تيار عقلاني متنور يبني فلسفة حضارة عربية جديدة.

ورد على سؤال: كيف ترى مستقبل الحضارة العربية؟ فقال طيب الله ثراه أن: "المستقبل يبدأ بالتضحيات والعمل الجاد. نحن بحاجة إلى أن نلتفت إلى داخلنا ونبني من جديد، ونستفيد من تجارب الحضارة الغربية دون أن نقع في أخطائها. النهوض سيأتي، لكنه يحتاج إلى جهد مستمر وتفكير عقلاني."

وفي رده على سؤال: هل تعتقد أن العالم العربي خارج موكب الحضارة؟: فرد بالنفي لكنه انه قال بأن الركود هو مجرد مقدمة للنهوض. كما قال توينبي، كل الحركات الكبرى تبدأ بمرحلة الاعتكاف. نحن في مرحلة الركود الآن، وهذا يعني أن النهوض قادم.

وفي رده على سؤال: هل تتفق مع هذا الرأي؟ سليمان: لا، العرب والمسلمون ليسوا خارج موكب الحضارة، بل في حالة حضارة معطلة. نحن بحاجة إلى جهود لتنشيطها وإنعاشها، وأن نقتبس من الحضارات الأخرى مثل العلمانية والديمقراطية لنطلق العنان للابتكار والإبداع.

ومما سبق يتبين لنا بأن فكر "القاسم بن علي الوزير" ما يزال ضروريا لفهم أزمات الواقع العربي اليوم، من فشل تجارب الربيع العربي إلى استمرار الأنظمة الشمولية. فمفاهيم مثل "القابلية للاستبداد" و"تزييف الوعي" تظل مفاتيحَ تحليلية ناجعة لتشخيص العلل العميقة، كما قدّم نموذجا فكريا يتجاوز الثنائيات المتعاركة بين سلفيةٍ جامدة وعلمانيةٍ منقطعة عن السياق، ساعيًا إلى تأسيس رؤية إسلاميةٍ تنويرية تتفاعل مع العصر دون ذوبان. ورغم ذلك، فإن معظم إنتاجه الفكري ما يزال مخطوطًا أو مغمورًا، مما يستدعي جهودا أكاديمية لجمع تراثه وتحقيقه ودراسته كمدرسةٍ فكريةٍ مستقلة. رسَمَ منهجًا إصلاحيا يبدأ بإيقاظ الضمير الفردي كمدخلٍ حتمي للتغيير الجماعي، مؤمنًا بأن نهضة الأمم تنبع من استثمار الطاقات الكامنة في داخلها، لا من تقليد النماذج المستوردة. نادى بتأسيس كيان دولة عصرية تقوم على سيادة القانون وتكافؤ الفرص، معتبرًا أن غياب العدالة بوابةٌ مفتوحةٌ على كل أشكال الفساد والتبعية.

وقد لاحظنا كيف قام بتشريح ظاهرة الاستبداد، حيث قدم تحليلا نفسيا واجتماعيا عميقا، مركزا على العلاقة الجدلية بين الطاغية والجماهير. فالديكتاتور - بحسبه - "لا يصل إلى السلطة إلا بوجود شعب مستعد للعبودية"، معتبرا أن الهيمنة تمارس عبر أدوات متعددة، أبرزها تزييف الوعي عبر التعليم والإعلام، وتفكيك الروابط الاجتماعية لخلق مجتمع منعزل وضعيف. أما مشروعه النهضوي فقد ارتكز على ثلاثية "الإنسان - المكان - الزمن"، حيث دعا إلى بناء إنسان جديد يتحرر من الخرافة والتبعية، وسياسةٍ عادلة تقوم على مبدأ الشورى كبديلٍ عن الديمقراطية الغربية التي رآها جوفاء في سياقاتها المستوردة، وزمنٍ منتج يستثمر في البناء بدل إهداره في صراعاتٍ عقيمة.

تاسعا وأخيرا: قراءة في شعر القاسم المنشور على صفحته على الفيسبوك:

يتميز شعر "القاسم بن علي الوزير" بالتلقائية والبعد عن التكلف، كما يرى صديقه الدكتور عبد العزيز المقالح طيب الله ثراهما في الجنة حيث اعتبر صديقه من الشعراء الذين يذهبون في كتابة الشعر مذهب التلقائية، فلا تشعر وأنت تقرأ قصيدة من قصائده بأنه يتكلف في الصياغة أو التقاط المعنى، بل ينساق مع سجيته مسترسلاً كالنهر الذي يجري في واد منبسط.

في شعره، نجد تناغم الألم الوطني مع صوت الثورة على الظلم، فجاءت قصائده مرآةً لعذابات اليمن وقضية العرب الأولى "القضية الفلسطينية"، حاملًا هم القدس بلسان امتزج فيه الحزن بإرادة التحرير، فلم يكن الشعر عنده مجرد تعبير وجداني، بل سلاحا فكريا يحارب به التهميش ويعيد تشكيل الوعي الجمع، كتب شعره بعذوبةٍ لغة أبي القاسم الشابي، ورقةٍ بدوي الجبل، كما وصفه شقيقه علامة اليمن المفكر والمؤرخ والأديب "زيد الوزير" مد الله بعمره.

حيث مزج بين بلاغة التراث العربي وروح المقاومة المعاصرة، معتبرا أن الكلمة ليست أداة جمالية فحسب، بل خطابا نقديًّا قادرًا على تفكيك الاستبداد. وفي مؤلفاته، جمع بين التحليل الاجتماعي الدقيق والنقد الثقافي الجريء، كما في مقاله "الفقه في غفوة والعقل في إجازة"، الذي هاجم فيه الجمود الفكري الذي يعيق حركة النهضة.

شعر القاسم الحواري:

من الأمثلة البارزة على شعره الحواري هذا المقطع من قصيدة طويلة تدور بين مواطن وطاغية:

"وأنا يا مولاي

أضحك منك ومن نفسي
أبكي منك على نفسي
أبكي منك عليك...
أعرف أنك لا تبصر إلاّ نفسك
لا تعشق إلاّ نفسك
كم أرجو أن تخرج منها مرة...
فتراها من خارجها
إذ ذاك ستعرف عنها
ما يعرفه كل الناس!"

هذه الأبيات تعكس رؤية "القاسم" - طيب الله ثراه في الجنة - النقدية للسلطة والاستبداد، وهي رؤية تشكلت عبر معايشته الشخصية للقمع والسجن، شعره ليس مجرد تعبير جمالي، بل هو موقف وجودي وإنساني من سماته حضور "القاسم" في موقف التجرد، "إنه عبارة عن حضور في حضرة اللغة، الفكر الخالص، وإقامة علاقة بديلة مع عناصر اللغة، الفكر بدلا عن العلاقة التي كانت تربط الذات بالآخرين، وهذا يعني أنه حضور للذات في منطقة الغياب، أو العمى عن الواقع، حيث يتحقق للإنسان في هذا المقام تجاوز الماضي، ونسيان وضعه الانطولوجي الذي كان قبل الآن، ليدخل في وضع له الآن".

وقبل أن نواصل قراءة القصائد والمقطوعات التي نشرها القاسم على صفحته بعيد عما تضمنه ديوانه "الثلاثية الشعرية: (الشوق والحزن والإشراق) الصادر عن دار المناهل عام ٢٠١١م، وهو يضم ثلاث مجموعات شعرية: "الشوق يا صنعاء"، "أزهار الأحزان"، و "لم تشرق الشمس بعد"، هذه الثلاثية تعكس مسيرة الشاعر وتجربته الحياتية الغنية.

فالشوق يا صنعاء: يعبر عن الحنين إلى الوطن والمدينة التي شكلت جزءاً أساسياً من هويته. هنا يظهر الوزير كشاعر المكان الذي يحول الجغرافيا إلى حالة وجدانية.

القاسم يعزي نفسه:

كما أن معاناة "القاسم" التي عبر عنها في جل قصائده لم تكن مجرد ذكريات أليمة، بل كانت وقودا لقصائده التي حوّلَ فيها الألمَ إلى فنٍّ مقاوم أولا: طيف الموت أو طيف المساء يقول بيتين وكأنه كان يرى ان وقت رحيله قريب فيقول:

ويوحشُـني طَيْفُ المسـاءِ لأنّـه
يذكّرنـي أنَّ الغُـروبَ قريـبُ
ومنْ عـاشَ في رأْدِ الضحى لم يكن له
سـوى النور إلفٌ والضيـاءِ حبيبُ

البيتان يعكسان صراعًا نفسيا عميقا بين الخوف من الموت والتشبث بالحياة، حيث يتجلى طيف المساء كرمز قاس لقرب الغروب الذي يحيل إلى النهاية المحتومة، وهنا نجد "القاسم" يربط ذاته بالنهار وضيائه، جاعلا من النور إلفًا وحبيبا، لكن هذا التعلق يزيد من وحشة المساء الذي يذكره بحتمية الرحيل. الغروب هنا ليس مجرد ظاهرة طبيعية، بل تحول إلى استعارة مؤلمة للموت، تُظهر قلقًا وجوديا من المجهول، وتناقضًا بين ألفة الحياة اليومية ورهبة الفناء. النبرة الحزينة التي تلوح خلف الأبيات تكشف عن وعي الشاعر المسبق بقرب رحيله، لكنها تحتفظ بشغفٍ خافتٍ تجاه جمال العالم، كأنه يحاول التوفيق بين قبول المصير الإلهي وحنين الروح إلى البقاء في ضياء الدنيا. هذا الجمع بين الرؤية الفلسفية والوجدان الجريح يجعل النص تأملًا إنسانيًا يلامس أعماق النفس في لحظاتها الأكثر هشاشة وصدقًا.

وفي ذات السياق يقول الشاعر بأن الموت فنا من فنون الشعر فيقول:

يكتـب المـوت كل يوم من الشـعر
فنونـاً تهمـي أسى وتـروع
بعـض أوزانـه النـواح وبعـض
مـن قوافيـه في القبـور ضجيـع
مـا وضعنـا يدا عـلى الجـرح إلا
سـال جرح عـلى الشـفاء منيع
كل يـوم مـودع لحبيـب
بعض نفسي يمـضي وبعض جزوع

هـذه الأبيات تكمل اللوحة النفسية التي بدأها الشاعر في البيتين السابقين، حيث يعتبر القاسم الموتَ فنا شعريا بحد ذاته، يحوله إلى نصٍّ مأساوي تتناثر فيه ألوان المعاناة والجمال معا. فـإذا كان المساء والغروب في النص الأول رمزين للرحيل الوشيك، فإن الموت هنا يتحول إلى "شاعر" ينسج من فنون الرثاء والأسى قصيدة يومية، تقاس بـأوزان النواح وقـوافٍ تُدفن في القبور. يبدو الموت عندَ "القاسم" كعملية إبداعية قاسية، تخلف جرحا لا يندمل، وفقدانا يتكرر كل يوم، كأن الحياة قصيدة يكتبها الموت بأحرف الألم، وتنتهي بلحظة صمت مطلق.

فالقاسم رضوان الله عليه كما رأينا قد أحال الموت فنا من فنون الشعر في ظل صـيرورة الوجود والعدم والـولادة في عالم الكون والفساد، حيث يصبح الفقدُ جزءا من إيقاع الكون نفسه. ف"الجرح الذي يَسيل عند لمسه يرمز إلى عجز الإنسان عن تجاوز فكرة الفناء، حتى حين يحاول إخفاء ألمه، بينما "القبور الضجيع" و"النواح" تجسّدُ الصراع بين الجسد الروح، وكأن الموت يُعيد تشكيل الذات إلى أجزاءٍ: بعضها يذوب في العدم، وبعضها يبقى مقيداً بالجزع. هكذا يُحوِّل الشاعر الموتَ من حدث عابر إلى سرديةٍ وجوديةٍ متواصلة، تلتقي فيها الرمزية الصوفية (الغروب، الليل، الضياء) بالتشكيل الجمالي للألم، فتصير النهايةُ فنا، والرحيلُ إبداعاً مُرا يعيد تعريف معنى البقاء.

القاسم يكتب بقلم البندقية:

لم يكن القاسم مفكرا فحسب، بل كان شاعرا حول الكلمة إلى سلاح، ففي قصيدته "البندقية لا الكتاب"، يهجو انقلابَ الثورة إلى ديكتاتورية:

"البندقية لا الكتابْ..
باتت طريق الضاربين إلى الغد المجهول
في وحل الترابْ
الخوذة السوداء تملي ما تشاء وعندها فصل الخطابْ".

وفي قصيدة أخرى يخاطب اليمن:

"يا يمنٌ، كم أرسلتَ للتاريخ أغنيةً
تُثني الجبالُ، وتُطربُها الرمالُ
سأظَلُّ أندبُ جرحَكَ بالكلماتِ حتى
يُورق الشوكُ، ويعتذرَ السفاحُ".
ويوحشُني طَيْفُ المساءِ لأنّه
يذكّرني أنَّ الغُروبَ قريبُ
ومنْ عاشَ في رأْدِ الضحى لم يكن له
سوى النور إلفٌ والضياءِ حبيبُ

في هذين البيتين يخبرنا الراحل بأن المساء يحمل في طياته لوعة الفراق، وكأن الغروبَ شاهد على زوال كل جميل، فالنفس تأنس بضحى الحياةِ حين تشرق فيها جذوة الأمل، لكن من ألفوا النور لا يركنون إلا إليه، وكأنّما الظلامُ غريبٌ عن قلوبِ المؤمنينَ بالضياء.

القاسم مخاطبا مدينته «صنعاء»

وما اروه ذلك الحنين الذي خاطب به مدينته المفضلة" صنعاء" حيث يقول:

صنعاء هل في الندى السـمح اسمارُ
كما مـضى مـن ليالينا وسـمارُ؟
وهل رخى العشـايا مثـل عادتها
شـعر واشـواق عشـاق واسرار؟
تفدي الحسان الجميلات التي التحفت
بمئـزر الليـل..أرواح وأبصـارُ
توهجت بالشـهي العذب واختبأت
خلـف الدخان وتفشى سرهـا النارُ
ينسـاب كالمـرء من عـال مآذنها
في هـداة الليـل تسـبيح وأذكارُ
أمـا الطغـاة فتاريـخ تـردده
شـوامخ مـن روابيهـا وأغـوارُ
مـروا عليها فجرح غـير منطمسي
عـلى الجبـين وفي العينـين اكدارُ

فهو يفتقد إلى صنعاء وليالي السمر فيها فيتساءل أين ليالي صنعاء التي كانت ترويها الأسرار وتزيّنها الأنوار؟ أين العشاق الذينَ كانوا ينسجونَ من أشواقِهم قصائد كالندى؟ لعل الزمن الغادرَ أخفى تلكَ الأسمارَ وراءَ دخانِ الأيام، لكنّ النارَ التي تحت الرمادِ تُذكرُ ولا تُنسى.

القاسم يقصف بقصائده الطغاة:

لقد كان شاعرا هزَّ عروشَ الطغاة بقصائده ففي إحدى هذه القصائد يقول:

أمـا الطغـاة فتاريـخ تـردده
شـوامخ مـن روابيهـا وأغـوارُ
مـروا عليها فجرح غـير منطمس
عـلى الجبـين وفي العينـين اكدارُ

هكذا كان "القاسم" يرسل شعره شواظ من لهب يكوي به الطغاة كما أنه كان ينظر إليهم بأنهم كالسراب يمرونَ ولا يَبقون، لكن جراحَهم تنقش على جبينِ الزمنِ كوصمةٍ لا تُمحى، وعيونُ التاريخ تذرف غضبا على مَن ظنوا أن القلاعَ تُخلّدُ أسماءَهم، لكنها ستخلد سقوطهم.

القاسم يختزل مصير الظالمين في بيتين فيقول:

القصيدة الثامنة: ساعة اليقظة:

حسـبُ الظالمون أنْ سـوف ينجون
وهيهـات يفلـت الظالمونـا
إن يومـاً - ولـم يعـدْ ببعيـدٍ-
سـوف يأتـي عليهـم أجميعنـا
لن يفـر الطغـاة من غضـب الله
ولـن يـدرك النجـاة الهاربونـا
«القـلاع» المشـيدات حصونًـا
سـوف تغـدو مقابـرًا لا حصونا
و«الكنـوز» المكدسـات احتياطًـا
سـوف تدعـو لكانزيهـا المنونـا
والسـياط التي بأيـدي الطواغيت
سـتذكي عزائـم الثائرينـا
والسـجون المـلأى سينسـل منها
ألـف جيـلٍ لا يرحـم الباطشـينا
قد تنـام الشـعوب حينـا.. ولكن
تـصرع البغـي يقظـةُ النائمينا

إنها لصرخة مدوية في وجه الظالم يرسلها شواظا من نار فيقول له: يا مَن تظنُّ أنَّ الجبالَ حصونٌ تُنجيكَ من قدرِ السماء، اعلمْ أنَّ يومَ الحسابِ قاب قوسين، فما أغنتْ عن فرعونَ جنودُه، ولا أنجتْ قارونَ كنوزُه، والعدلُ الإلهيُّ بحرٌ لا يُبقي لسفنِ الظلمِ إلا الغرقَ.

نحن من يصنع مشاكل الحياة فيقول:

إنا لنلقي على الدّنيا مآسـينا ونحن
في كل يـوم، نصنـع السَّـببا !
بِغْنا الدماءَ التي سـالت مقدسـة
بعنا المصـير .. الذي مازال محتجبا !

نعم أيها الفيلسوف الحكيم في كل يوم نصنع سببا للدمار ومبررا للتدخل الخارجي ، فالمتسلقون أيها المجاهد الجبار والشاعر الأريب هم من حولوا دماءَ الشهداءِ إلى سلعةٍ تباعُ في سوق النفاق، وصرنا ندفنُ مصيرَنا بأيدينا كالغافلين، وكأنّما الدنيا مرآةٌ نرى فيها وجوهَ الخائنين، فمتى نعودُ إلى أنفسِنا قبلَ أن تُباعَ الأوطانُ وتضيعَ الأمانة؟

أوجاع الوطن المزمنة:

مـا وضعنـا يدا عـلى الجـرح إلا
سـال جرح عـلى الشـفاء منيع
كل يـوم مـودع لحبيـب
بعض نفسي يمـضي وبعض جزوع

آه كم عانى فقيدنا من جراح وطنه فالجراحُ التي نُضمّدها تفيضُ ألمًا جديدًا، وكأنّما الأيامُ سكاكينُ تجرحُ في الصمت، فكلُّ فراقٍ يُذكرنا بأنَّ جزءًا منّا يغيبُ معَ الراحلين، لكنّ الجزعَ لا يليقُ بقلوبٍ تعلمُ أنَّ البكاءَ على الأطلالِ لا يُعيدُ الأحباب.

القصيدة الثانية: مقطوعة الأكدار

العاكفـون عـلى السـلاح عبادة
الراكعـون عـلى الجهاد السـجد
القارئـون المـوت رتـل بعضـه
نـاج وجـودٌ بعضـه مستشـهد
الثابتـون عـلى العتـاق كأنهـا
في بـدر ترتجـل الحتوف وتنشـد

أولئك الذين سجدوا لغير اللهِ في محرابِ السلاح، وظنّوا أنَّ الدمَ قربانٌ يُقرّبُهم إلى الجنة، إنَّ سيوفَهم تُنشدُ قصائدَ الموتِ في ليلِ المعارك، وكأنَّ أرواحَهم أوراقٌ تتساقطُ في عاصفةٍ لا تبقي إلا جذعَ الشجرةِ الواقفةِ كالصخر، لكنّ الصخرَ يُفتَّتُ مع الزمن.

القصيدة الخامسة: أحزان الشاعر

أخفـي الجراح بنفـسي وهي قاتلة
وأمنـح الناس مني الوجـه جذلانا
فليشرب الناس من كأسٍ مشعشعة
وأحتـسي دونَ خلـق اللـه نيرانا
يا مَن يرى الوردة الحمراء باسـمة
دمي جـرى في عروق الـورد ألوانا

أخفِي دمعَ القلبِ خلفَ ابتسامةٍ كاذبة، وأقدّمُ للناسِ شرابَ الفرحِ بينما أحتسي سمَّ الألمِ وحدي. دمي الذي سالَ في جذورِ الوردِ جعلَ ألوانَهُ تُشبهُ نارًا تتأرجحُ بين الجمالِ والألم، وكأنَّ الحياةَ رديةٌ حمراءُ نعشقُ رائحتَها رغمَ أشواكِها.

القاسم يرثي حال الأمتين العربية والإسلامية:

بعنـا الخيولَ على الميـدان مُسرجةً
بعنا السيوفَ وبعنا الشـعرَ والأدبا
ولـو قدرنـا لعبنـا كل عابـرةٍ
من النشـيم تضم العطـرَ منتحبا
لـم يبـق شيء بأيدينـا لمدخـر
حتـى الكرامـة بعناها لمـن طلب

بعنا الخيولَ التي كانت ترفعُ رؤوسَها كالرايات، وبعنا السيوفَ التي كانت تُنشدُ قصائدَ الفخر، حتى الشعرَ صارَ كلمةً تُباعُ في سوق النفاق. لو استطعنا لبعنا ريحَ الشمالِ التي تحملُ عطرَ الأزهار، ولم نتركْ للكرامةِ إلا ذِكرًا يُروى في أحاديثِ الندم.

المراجع:

١-صفحة "القاسم على الفيسبوك
٢-المسار السنة العاشرة: العدد الثاني١٤٣٠هجرية ٢٠٠٩م
٣- حرث في حقول المعرفة لفقيد الوطن "القاسم"
٤-صحيفة صوت الشورى الإلكترونية.
٥- مقالين للكاتب في ذات الخصوص.

الشورى AL SHOURA
الشورى في الأمر • العدل في القال • الخير في الأرض

عدد خاص - بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل
الأستاذ القاسم بن علي الوزير رحمه الله
الثلاثاء: 22 ذي القعدة 1446هـ - الموافق: 20 مايو 2025م

بعد عام

ذكريات كتبها الأستاذ زيد بن علي

(١)

بعد عام مضى، وشخصك الغالي-يا شقيق العمر- لم بـــرح من عيني فكأنه غرس فيهـــا، فأنظر إلى كل الأشـــياء من خلالك، واســـترجع ما مضى من رحلتنا الطويلة التي قضيناها ســـنة بعد ســـنة نواجه قيضاً لافحاً وهو الأكثر، وربيعاً مخضلاً وهو الأقل، فأستلهم منها زادا يدعم خطاي فيما بقي من عمري.

وعلى ضوء حياتك الحافلة أراك ما برحت تشاركني في حل كل أمـــر صعب، وترافقنـــي خطوة خطوة في الطريق الباقي نواجه معا مفاجئات الأيام القاســـية، وأحلام الليالي المترفة، وكأننا لم نفترق ساعة من نهار.

ومع ذلك يظل حزن كظيمـــي، يعتلج في أعماقي، ويحتدم بين أضلاعي، احتدام بركان يتفجر ينبئ أنك قد رحلـــت، وتركتني أخب وحـــدي في طريق غامض يسوقني فيه أمل، ويدفعني فيه رجا، لتحقيق مبدأ لم يتغـــير، وعقيدة لم يتبدل،وموقفا لم ينحرف ســـواء أكانت مواسم قيض لافح،أم رخيات ربيع وارف، كمثل ما كنا معا نســـعد بما أوتينا، ولا نتبرم بما نلاقي من السجون والمنافي ونســـعد أيضا بأنسام ربيع عابر فلا يثنينا عنما نحن فيه وذلك لأننا كنا نحمل رسالة نسعى في تحقيقها رغم شدة البلوى، ورغم طراوة النعيم، فلا البلوى أرجعتنا عما نحن ســـاعون إليه، ولا الطراوة أرخت أعصابنا فنمنا على سرر الوهم الناعم كنا نحمل فوق القيض وفوق النعيم. ذلك ما كنا نشـــعر به حقا وذلك ما حفظ خطانا من الزيغ الســـياسي كما اعتقد. لقد ربتنا والدتنا على هـــذا المنوال ووضعت خطانا في الطريق الصعب الذي أصبح بفعل ما نعتقده سهلاً

هكذا تمدني ذكرياتـــي معك يا أخي بموفور من الذخيرة تســـاعدني على تلمس الطريق اللاحب بعيداً بعيداً عن بنيات الطريق فأسعى حاملا عنك ما حملته، وألقاك من خلالها صاحيا، وأجتمع بك نائما، لأنك أنت تسكن ذهني ولا تفارقه؛ مراقبا لي عما افعله، تقبل إذا غفوت علي كفوف نســـيم، فنتحـــدث كما كنا نتحدث، ونتحـــاور كما كنا نتحاور، ونختلـــف ونتفق، وفجأة تغيب عني،فأســـعى باحثا عنك هناك وهناك ملتاعا بدون جدوى،وعندئـــذ أفيق على واقـــع مرير؛وقلب جريح، وفؤاد، مكلوم،أفرح في الليل بلقائك، وأحزن في النهار على فراقـــك، فأنت-حقيقة- في كلا الحالتين يا أخي لم تغب عني ســـاعة من نهار، ولا ساعة من ليل، وبين الفرح والحزن تمضي أيامي سريعة الخطى نحو مغيب محتوم لألتقي بك وبابي وأمي وأخوتي وأخواتي في رحاب رب كريم.

(٢)

وفي أحيان كثيرة يلجم الحزن السنة فصيحة فتظل الكلمات تتأوه في أعماق النفس بدون أن تجد مخرجاً، تنغلق بحرارتها وســـط ضلوع مقفلة تتقد في داخلها كما لو كانت في أتون مقفـــل. وهذا بالفعل ما أعانيه، فالكلمات تحترق،والحـــروف تتلظى وبصعوبة فائقة أجد قلمي يخط كلمات دخـــان قلب يتعذب فما أجده وليس لإيضاحه من ســـبيل، والعزاء الوحيد-كما سبق القول- هو اللقاء بكم عند رب كريم، فقد كتب عليّ أن أشاهد وفاة أخوتي وأخواتي العشرة واحداً بعد واحد، وحزنا بعد حزن حتى وهن القلب واشتعل الفكر شيباً.

ولكي اخرج من عقم التعبير عما أحس، فقد لجأت إلى أن اســـتحيي تاريخه، أو محطات من تاريخه، منذ أن استقبلته الحياة، أو استقبلها، على إحدى ذرى جبل صبر الشامخ المطل على مدينة "تعز العز"وعلى سهول خضرا تمتد مسافات بعيدة حتى تلتصق بهضاب تعلو حتى تتصل بجبـــل التعكر العظيم. تاركا لأخوة أعزاء من كتاب اليمن الكبار المجال للحديث عن عمق عقليته، ورحيب رؤيته، وواسع تفكيره، وانصرف إلى مسبق أن أشرت إليه أي إلى استعراض مراحل من حياته الطويلة العريضة ليرى من يحب أن يرى ما قام به من صالح الأعمال

كتب والـــدي بخطه تاريخ أخي قاســـم في غلاف {قرآن كريم}(ولد المولود السعيد بخير وقبول -والدته بنت أبو راس - "القاســـم بن علي بن عبد الله" في يوم الاثنين الساعة السادسة وربع ١٣ القعدة سنة ٥٥ [٢٥ يناير ١٩٣٧م] جعله الله قـــرة عين لوالده، ووالدته، والمسلمين، ومن أوعية الكتاب الكريم والعلم الشريف). واستجاب الله دعاء والده فكان قرة عينيهما، وقرة عين المســـلمين، الذين اطلعوا على أفكاره وكان من أوعية {القرآن الكريم} والعلوم الإسلامية والمعاصرة.

لم أتذكر أيامـــي معه في "تعز العـــز"- كما كنا نسميها- ولا عندما انتقلنا إلى "صنعاء" والهجرة إذ لم يبق منها إلا صورا باهتة تحفظها ذاكرة أثقلت بأحداث جسام. ولكن برغم الذكريات بدأت تتفتح على أيامنا في "المحويت" حيث تحتفظ الذاكرة بصور واضحة، وليل منها صور غائمة.

عرف أخي قاســـم منذ طفولته بالشجاعة الفائقة، بل وبعنفوانهـــا، ففي طفولته المبكـــرة كان مغامرا متحديا بل ومشاغبا وأذكر أن أحدهم أهدى "ضبعا" صغيراً لوالدي،فتربى في منزلنا لطيفاً ناعماً نســـقيه حليباً ونطعمه لحماً، حتى أذا كبر اســـتعاد وحشيته، فكنـــا في البداية نهرب منـــه إلى المقاعـــد العالية إلا "القاسم" فكان يقاومه حتى يمسكه من عرفه ويغلق عليه في غرفة. وظل الحال على ذلك إلى أن كبر "الضبع" -والذي يســـمى في اليمن "العرج" -واســـتوت قوته، واســـتحال بقاؤه بيننا، افرد له في خارج المنزل قفص مغلق بأعمدة من حديـــد متباعد يقوم برعايته جندي يطعمه ويســـقيه. وطالما ســـمعت والدي يثني على شجاعته ويصفه بالشجاع.

واذكر حادثة جرت تصدى لها وحده ونحن حوله بشـــجاعة فذة وذلك أن رجلا شـــابا عرف بشقاوته وطيشـــه، كان يتصدى لحاملات الماء على رؤوسهن، وبيده عصى طويلة رشق في أعلاها "مسمار" حاد كان يضرب بها تنكة الماء من الخلف فينساب منه الماء قليلا حتى يصل إلى الثقب فلا تصل إلى منزلها إلى وقد ذهب منها الماء الكثـــير. فلما عرفن غيرن طريقهن من باب بيته.

هذا الرجـــل كان عصبيا أحمق متعجرف متكبر لا يخاف مـــن أحد، بل يخيف، ومن أسرة لها شـــأن في "المحويت"وقد بلغ به الطيش أن قتل "في يوم من أيام رمضان "مقوتا" فحكـــم عليه والدي بالقصاص ولم ينفذ الحكم بســـبب قرب والده مـــن ولي العهد احمد حيث نقلت محاكمته إلى صنعاء

وذات يوم ونحن وغيرنا نلعب قريبا من بيته إذ به يأتي إلينا مهدداً متوعداً لنا لســـبب لا نعلم عنه شيئا وكدنا أن نتطاير خوفا منه يمينا وشمالا،إلا "القاسم" فقد تصدى بالصراخ عليه، والرد على كل كلمة بكلمة وحتى قرب منه يهدده بضربه فلم يخف منه، وكان في طاقة الشاب أن يوســـعه ضرباً إلا انه لم يفعل ذلك" ربما خوفا من والدي فما لبث أن تراجع وعاد إلى بيته، وانتصر قاســـم وأعجب بـــه من حوله مـــن الرفاق وأصبحت له شهرة. إنه فعلا لشجاع.

(٣)

وتمضي الأيام وتهب الثورة الدستورية وننتقل إلى صنعاء"ثم لم تلبث أن ســـقط ذلـــك النور في هاوية ظلمات عهد جديد بعد ثلاثة أسابيع، وصودرت بيوتنا بما فيها من أثاث،وأموالنا كلها وأصبحنا لا نملك مالا ولا دارا، فســـكنا مع أبناء عمنا في دارهم، وكان أخي القاسم هو الذي كان يواجه السيف "عباس بن الإمام يحيى" الذي أوكل إليه مـــن الإمام "أحمد" معاملتنا وكان غليظ القلب قاسيا علينا وبقينا بدون دخل فكدنا نموت جوعا فذهب إليه القاسم ليطلب منه أن يقرر لنا ما نقتات به ماداموا وقد صادروا أموالنا فكان العباس يحتد في كلامه فيحتد "القاسم" في جوابه وعندما قال السيف العباس: لا اقدر أن افعل لكم شيئاً رد عليه" ولماذا فعلوك ســـيف إسلام وأنت لم تنفذ أمر الإسلام، فبهت العباس من جواب طفل فدعا "عامل السر وقال لـــه انظر ما تفعل لهم فتقرر مالا ينقع غلة ولا يطفئ ظمئا.

(٤)

وتشـــاء المقادير -ولله حكم غامضة- أن تسقط شقيقتنا "أمة الخالق" بمرض الكلى وليس من طبيب وليس من معالج فاضطررنـــا إلى انتقالنا إلى صنعاء بعد أن سمح لنا، فحاولنا أن نلتحق بمدرسة ابتدائية حكومية فلم يسمح لنا بالدراسة فيها،فكان "القاسم يقوم مبكرا ويخرج من البيت أيـــام الرد الجاف ولا دثار له مـــن صقيع البرد فيذهـــب إلى "قبة المتوكل فيصلي ويلتحق بمســـجد البلقة للدارسة حتى ينتهي منها ثم يذهب إلى الســـوق فيشتري ما يحتاجه البيت بحســـب الدخل المحدود فيحمله على ظهره ويعود إلى البيت فكان القاســـم الذي عرف بمشاغباته في صباه أصبح الآن من العقل والحكمة ما يجعله رجلا حكيما،

لم تســـمح الســـلطات لنا أن نـــدرس في المكاتب الدراســـية فكنا ندرس في حلقات المســـاجد وعندما تعرفنا على الأستاذ "عبد الله البردوني درسنا على يديه وكان القاســـم أشـــد الأخوة صداقة بصحبة أستاذنا الشاعر الكبير عبد الله البردوني فتزود منه مالم نتزود به أنا وشـــقيقي محمد" وكان "مســـجد البلقة" هو المـــكان الذي ندرس على يديه شيء من الأدب والتاريخ والنحو.

حقا لقد أصبح القاسم رحمه الله أبا صغيرا لأسرة معذبة، وعاقلا بعد طفولة جريئـــة، وصديقا حميماً لأســـتاذنا البردوني لا يكادان يفترقان يخرجان معا ملتحفان بـــ "لحفة" واحدة يتـــدلى طرف منها علي يمين أحدهما والأخر على يساره لأنهما لا يملكان غيرها.

(٥)

عندما أطلق أخي العبـــاس من حجة للمرة الثانية رأى أن نلتحق بقاهرة حجة حيـــث كان بها بقية ما أبقى سيف الإمام أحمد من رجال "الثورة الدستورية من العلماء والأدباء والشـــعراء، وكانوا يُدرسون من يصل من أولاد المســـاجين لزيارة آبائهم، حيث كانت بعض الكتب مســـموحة بالدخـــول نتيجة مراجعة القاضيـــان عبد الرحمن الإريانـــي وعبد الإله الأغبري الإمام أحمد برغبتهما بتحقيق ديوان الشـــاعر الكبير "عبـــد الكريم الآنسي " ترجيع الأطيار" فســـمح بما يرغبان في اســـتيراده بشرط أن تعرض على نائبه أولا فـــكان هذا بابا لتلح منه كتب بواســـطة حارس تأثر بالثورة الدستورية،

راجع "العباس" الســـيف الحســـن-نائب الإمام بصنعاء- بالســـماح لنا بزيارة أخينا إبراهيم فوافق وأضاف والدراسة عند القاضي عبد الرحمن الإرياني، حتـــى نظل بالحبس مع المغضـــوب عليهم من الإمام وأسرته فســـافرنا نحن الثلاثة "قاســـم ومحمد وأنا فاستقبلنا الأخوة خير استقبال ودرسنا على أيديهم.

وهنا في هذا الســـجن ظهرت بالفعل عقلية القاسم المبشرة بنبـــوغ علمي، وبتفكير عقلي، حتى ســـموه "الفيلسوف الصغير" وكما قال الكاتب الكبير "حسن "حمـــود الدولة" أنـــه أثناء بقائه في الســـجن تكون "مشروع فيلســـوف" وهنا أيضا تفجرت شـــاعريته البليغة، فأصبح شـــاعر هذه الأسرة بدون منازع من القرن السادس الهجري، وحتى أيامه، فهو شاعر هذا البيت لم يســـبقه أحد ولا أظن يدركه أحد في المستقبل المنظور.

وليس ذلك فحسب، بل تفجرت عقليته السياسة في وقت مبكـــر، فعمل مع أخيه إبراهيـــم والقاضي عبد الرحمن الإرياني وغيرهم في أعمال سياســـية كان فيها سكرتير منظمتين أنشـــأتا في السجن. ومن تلك الفترة تحمل المســـؤولية مـــع أخيه إبراهيـــم في كل مراحل النضال من حزب الشعب إلى حزب الشورى إلى اتحاد القوى الشعبية حتى توسد في التراب شهيدا

وكان من طبيعته الإيثار فعندما مرضت زوج ابن عمه أحمد بن محمد الوزير وراجع الإمام احمد بالأذن بالسفر لزيارتها،والاطمئنان، عليها أجاب الإمام أحمد بالموافقة بشرط أن يكون أحد بديلاً عنه فتقدم القاسم فكان هو البديل السجين، وكم هي الإيثارات التي بذلها القاسم سواء أكانت عملية أو كتابية، فكم هي المذكرات والمشاريع والمراسلات التي صاغها ولم ينسبها لنفسه.

(٦)

كان القاســـم بن علي آخر من خرج من أخوته من ســـجن حجة فأخي "إبراهيم" خـــرج لزيارة والدتي بوضع أخي "محمد" بديلا عنه ثم أطلق سراحه، بعد أن ســـجن إبراهيم في ســـجن القلعة، ثم هرب الأخوة عباس وإبراهيم ومحمد من اليمن إلى عدن في القاهرة كما شرحتـــه في مقالاتي صنع في اليمن في صفحتي في الفيـــس بـــوك face book وتم نشرهـــا في صوت الشورى،وبقينا- أخي قاسم وأنا- في سجن بيت المؤيد بحجة بعد أن كانوا قـــد أنزلونا من القاهرة قبل ذلك. وفيما نحن هناك مرض أخي مرضا شديدا خفت عليه خوفا شـــديدا حتى أني كنت اسهر الليل أتابع صحته وكان الوهـــم يجعلني أحس وهو نائم بأن أنفاســـه أنقطت، ومن شـــدة الخوف عليه أنني لم اعد اســـمع أنفاســـه تتردد ولا حركة في بطنه تعلو وتهبط فاندفع من الخوف فأوقظه من نومه فيستيقظ موهن الجفن فافرح لأنه مازال حيا. ثم شـــفاه الله فذقت بشفائه سعادة غامرة لم أسعد بمثله.

بعد فترة مرضت والدتي في صنعاء مرضا شـــديدا فكتب الدكتور فينروني من ذات نفسه إلى الأمام يطلب منه إطـــلاق سراح أحد أولادها ليرعاهـــا في مرضها الخطير فســـمح الإمام بنقلي إلى سجن القلعة بصنعاء مع السماح بالتردد عليها صباحا مع المحافظ صباحا والعودة السجن مساء، وكانت لحظات ماحقة عشناها معا بين الفراق وبين الواجب وهي حالة عبر عنها هو في قصيدته الوداعية بما في نفسه وبما في نفسي أيضا

أأفـــرح أم ابكـــي الفـــراق فأنني
تلقيت ما قد كنـــت عمري أحاذره
تلفت لا يـــدري وقد غـــاب وعيه
أصباء يحســـو أم لهيـــب يعاقره

(٧)

وكان لهيبا بالفعل يعاقـــره وأعاقره، وبقينا على تواصل بريـــدي إلى أن قام الجيش بانقلابه على الإمام بقادة الســـيف عبد الله والثلايا ولجوء الأمير البدر بن الإمام أحمد مع الأستاذين الدستوريين أحمد بن محمد نعمـــان واحمد بن محمد الشـــامي إلى حجة وإطلاق جميع سجناء الثورة الدستورية ما عدى ثلاثة من آل الوزير هم العلامة محمد بن أحمد الوزير -شقيق إمام الدستور عبد الله بن احمد الوزير" -والعلامة "أحمد بن مُحمد الوزير"-مؤلف المصفى- وأخي قاسم إذ لم يجرأ الأمير البدر أن يطلق سراحهم بدون أن يستأذن أباه.

ومن حســـن المقادير بالنســـبة لنا بدأ واضحا أن الإمام قد اســـترخت قبضته على مـــن بقي من الثورة الدستورية فوظفهم بمساعي الأمير البدر-ذي الاتجاه الإصلاحي-في وظائف شـــتى، وســـمح لأخي القاسم بالســـفر إلى الحديدة للمعالجة وبعد حين ترك وأمره فعاد إلى صنعاء حرا بدون أمر بإطلاقه. لقد انشـــغل الإمام بأسرته وترك الآخرين.

(٨)

في صنعاء اجتمع بعض الشـــمل المبدد والدتنا وأختينا "أم هاني" وحورية وقاســـم وأنا، وانصرفنا نحن الاثنان نحو العمل مع الأخوين أحمد العماد وعلي الواســـعي -الذي تحول بعد قيـــام حركة الجيش إلى حزب الإصلاح -على ضوء ما نتلقاه من نشاط أخواننا في القاهرة وعدن من أخبار: عن نشـــاط حزب الشعب وحزب الشـــورى، فكنا نعمل على تأسيس فروع له في صنعاء وتعز وإب والحديدة.

وعـــلى حين غفلة ثار الجيـــش في صنعاء على بيت القاضي يحيى العمري وقضاة آخرين بلا سبب عرفته فأحرقت كتب وأحكام وأرقـــام وجاء الأمير البدر من تعز إلى صنعـــاء ودخلت القبائل صنعاء نجدة للأمير، وكان الأمير البدر يعالج أوضاع صنعاء هب الجيش في تعز فأحرق وســـحل القاضيان الشهيدان الجبريان فأرسل الأمير القاضي البارع "محمد الشامي" فسكن الأمـــور, فلما بلغ الإمام أحمد وهو بروما يتعالج رجع إلى اليمن فســـكنت أوضاع الجيش كما هو معروف، ولأمر لم اســـع إليه ولا خطر في بـــالي عينني الإمام سكرتيرا أول في مفوضية بيروت وعاد الأخوان العباس ومحمـــد الرباعي إلى اليمن فعـــين الأخ عباس وزيرا مفوضا في "المغرب" بدون أن يسعى ولسبب لم يعرف إلا الأبعاد المؤدب من اليمن

(٩)

وبقي الأخوان قاســـم والرباعـــي والخالان أمين وحمود ابوراس ينشـــطون في اليمن نشـــاطا بلغ حد القرار بقيام ثورة شعبية تنطلق من برط، وفي اجتماع النقيلـــين في بيت النقيب مطيع دماج تبنى المجتمعون إعلان الجمهورية الشـــعبية الديمقراطية فور انطلاق الثورة الشـــعبية فحمل القاسم هذا المشروع معه إلى عدن حيث التقى بالأســـتاذ والشاعر والمربي علي عبد العزيز نـــصر وأطلعه على الخطة ثم غادر إلى القاهرة ليعرض الخطة على أخيه إبراهيم وبقية الأخوة وهناك التقى بالفيلســـوف الكبير "مالك بن نبي" وعايشـــه معايشة فكرية عميقة فتأثر به وبأفكاره إلى ما سبق له من غوص في دراسته للشيوعية واليسار تأسس اتحاد القوى الشعبية بالتفاهم مع أخوة "عدن"وتبني رسميا وأعلنا الجمهورية الشـــعبية الديمقراطية فكان أول حزب نادى بها في ميثاق حزبه. وكان قاسم والرباعي هما من توليا تبني الجمهورية.

(١٠)

وبينما كان اتحاد القوى الشعبية يعمل لقيام ثورة الجبل وإعلان الجمهورية قام بعض الضباط المتأثرين بالناصريـــة بالانقلاب على الإمـــام المنصور البدر بعد أســـبوع من توليه الأمر، فلم يعـــد في الإمكان القيام بالثورة الشـــعبية لتدخل المصريـــين لتبني الضباط المتصلين بهم ودعمهـــم بقوات ضاربة ولقيام الملكيين بدعم من السعودية من ناحية أخرى. فأردنا الدخول إلى اليمن فمنع مكتب البيضاني في القاهرة ســـفر أي يمني إليها إلا بتصريح منه، فلم يتمكن أحد من السفر إلا من أعطي تصريحا بسفره وتيقن من ناصريته وإلا فسيقبض عليه المصريون في اليمن، لكن بعد أن أطيح بالبيضاني من اليمن بجهـــود أعضاء مكتب الرئيس بقيـــادة الأخـــوة الاتحاديين برياســـة طه مصطفى وعضوية علي عبد العزيز نصر ومحمد الرباعي ومحمد الشاطبي وغيرهم، فانفتح الباب أمام اليمنيين للدخول إلى اليمن فدخلـــت الوالدة"بنت ابـــوراس وإبراهيم وقاسم، للنضال من الداخل وبقي عباس وأنا في بيروت.

نشط الأخوة الثلاثة وأعضاء مكتب الرئيس في دعم الجمهورية فـــرأس إبراهيم حملة لاســـترداد منطقة إستراتيجية في بني حبش فاسترجعها وعاد إلى صنعاء بينما ذهب قاسم مع حملة برط بقيادة الشيخين "أمين ابوراس ومطيع دماج وبقي بها حتى تم إبعاد القوات الملكية من جوارها بما يكفل أمنها.

لكن المؤسف بالفعل ظهور الخلافات بين اليمنيين- اليمنيـــين وبين اليمنيين والمصريين، إلى الســـطح ولم تمض ســـنة حتى عقد مؤتمر عمران المناوئ باطنيا للمصريين وكان هـــذا المؤتمر جاء بعد لقاء في الراهدة بين القـــاضي "أحمد الســـياغي" اللاجـــئ في عدن والشخصية الكبيرة وبين القاضيين الإرياني والزبيري والشيخ سنان أبو لحوم" وكان رأي القاضي السياغي -كما أخبر أخي "العباس" بعد تفشيل مؤتمر عمران أنه تم الاتفاق معهم على تشكيل إمامة روحية في صعدة وحكومة مدنية في صنعـــاء لكنهم لم يعملوا بما اتفق عليه فلما سأله أخي عن السبب قال: عقليات فقيه.

وعقد المؤتمر وحضرته اللجنـــة المركزية في اتحاد القوى الشـــعبية واتخذوا من موضع في الجنات مكانا لهم للتداول وتوصلوا إل القرار السابع والعشرين الذي اغضب المصريين, وليس من شـــك أن المؤتمر نجح في أحياء الروح الثورية لكنه فشل في تماسكه وقد حاول الشـــهيد الزبيري إحياءه من جديد فذهب إلى عمران لكنـــه رجع خائبا وفي هذه الأثنـــاء حصل خلاف بين الشهيد الزبيري واحد المشايخ المتنفذين حتى انه هدد الزبـــيري بإعادتـــه إلى القاهرة فقال له "القاســـم" -وكانـــت تربطهما صداقة عميقـــة- وكان وقتها هو الأمين العـــام "لو تخلى عنك من تخلى فلن نتخلى عنك وسوف نقف معك وذهب إبراهيم والقاسم إلى النقيب "أمين ابوراس" وطلبوا منـــه الخروج معهم إلى برط فوافق مسرعا وهكـــذا غادروا سرا إلى برط، ومن ذرى برط عبر "القاســـم" عن تراكم الأخطاء الإدارية، وأن الصورة لم تتغير إلا شكلا، فالمظالم مستمرة والحرية مقفلة إلا بتســـبيح الحكم والوفود المصرية والسجون مستمرة والمخابرات قائمة على قدم وساق فدوي صوته بقصيدته الربيع الكاذب مطلعها

تحيـــة أيهـــا النـــازح النائـــي
يهفـــو اليك بهـــا شـــوق الأحباء
النازحـــين بـــلا نـــأي عـــلى قلق
مـــن الحياة فهـــم أشـــباه أحياء
لهم مـــع القـــدر المحتـــوم متعد
عـــلى تخـــوم غـــد للحـــق وضاء
طوتـــه الليـــالي فهـــو محتجـــز
لســـوف يهـــدر شـــلالات أضواء
قالـــوا الربيع ولم تشرق بشـــائره
ألا لتســـحقه أهـــوال أنـــواء

ولما سمعها الشهيد الزبيري امتشى بها وهو الشاعر الكبير قال له لم تعدو ما في نفسي)

وليس من شـــك أن تلك الخلافات قد أعطت فرصة للملكين أن تتقـــوى أجنحتهم وكان هـــذا ما يخافه الإتحاد فيعمل ضده مع آخرين كانوا يشـــاركونه هذا التخوف وكان خروج الأخوة إبراهيم وقاسم والزبيري والنقيـــب "أمين ابوراس إلى جبل بـــرط من اجل هذا الغرض.

وتم إقناع الزبيري من قبـــل القاضي عبد الرحمن الإرياني وعبد السلام صبرة بالعودة إلى "صنعاء فعاد الشهيد وبعد قليل عادوا جميعا.

(١١)

وانتقل إلى مرحلة أخرى مـــن مراحل حياته وهي الزيارة التي قام بها الرئيس "السلال إلى موسكو وكان "القاســـم " بطلب من الأخ طه مصطفى قد وافق أن يسافر معه كمستشـــار للوفد- وكان ينزل حيث ينزل الرئيس وكان هو الذي كتب خطبة الرئيس التي أعجب بها القاضي عبد الرحمن وبســـبب ثقافته الواسعة وما كان يطرح من نقاش أعجب به بالرئيس "خروتشوف" اعجاباً دعاه أن يســـتضيفه في البقاء في موسكو لمدة يحدده واهدي له عدة كتب، ولعل شرح القاسم للعدالة الاجتماعية وهو المطلع على كتب مؤلفي الفكر الشيوعي هو وراء اســـتضافته. واعتذر قاسم بلطف لما يتطلب منه الموقف اليمني من حضور. ولم تعجب نتائج هذه الرحلة الرئيس المـــصري وبالخص عن تزويد الجيش

الشورى AL SHOURA
الشورى في الأمر، العدل في القال، الخير في الأرض

عدد خاص - بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل
الأستاذ **القاسم بن علي الوزير** رحمه الله
الثلاثاء: 22 ذي القعدة 1446هـ - الموافق: 20 مايو 2025م

الوزير

اليمني بالأسلحة إلى اليمن بدون موافقة الرئيس جمال وكان الجانب السوفييتي يصر على كلمة الجنوب العربي لكن القاسم تذكر لبيات السوفيتي اليمني اثر زيارة الأمير البدر الذي نص بوضوح على ذكر الجنوب اليمني فجلب البيان وإذا فيه الجنوب اليمني. ولقد تعاون القاسم مع القاضي الإرياني تعاونا كبيرا في إنجاح المؤتمر مما أغضب عليهما الجانب المصري

(١٢)

وانتقل إلى محطة أخرى وهي عن نشأة منظمة الشباب التي أدت في النهاية إلى خروج وفد السلام، وذلك أن القيادة المصرية دعت إلى إقامة منظمة تساند الموقف المصري يعقد في مقر وزارة الإعلام، وتحاشوا دعوة اتحاد القوى الشعبية، ولما علمت قيادته بذلك قررت حضوره وكان مطروحا اختيار هيئة إدارية أو تنفيذية فرشح الاتحاديون "القاسم" لمنصب أمانتها وكان الأخ "محمد الرباعي" الأستاذ "مساوي أحمد"- المعروف بصاحب الخطاب بكلمة واحدة(نموت جميعا ويحيى الإمام)- وخاطب الجميع بجملة واحدة:(سلموا أمركم للإخوان-ويقصد الاتحاديين- ووكلوا الله). ونجح في إقناع الحاضرين بفهم عميق وحجة قوية. واعترض البعض محتجين بكيف تقوم منظمة غير رسمية؟ وأي شرعية يمكن أن تكون لها؟ فأجاب قاسم : إنها الشرعية الثورية التي على أساسها تحاول إعادة بناء مجتمعنا كله.) وضجت القاعة بالتصفيق وانضم إلى الترشيح الأخ "صالح عنقاد وعملوا جميعا على ترشيح قاسم وتم لهم ذلك ولما رأى المصريون ما حصل في الاجتماع هذا صرفوا النظر عن الفكرة من الأساس وماتت.

لكنهم لم يستطيعوا القضاء على الفكرة نفسها فما لبث الشباب أن تداعوا إلى خلق منظمة أخرى تنطلق منهم غير معتمدة على أحد سوى على نفسها وأرادتها، تلك هي:منظمة الشباب الذي يعود فضل إنشائها إلى المرحوم "عبد الله بن أحمد الكبسي" الذي كان نافذ الرأي في الشباب وهو الذي قاد المظاهرات في "صنعاء" ضد الإمام "أحمد"والذي قاد المظاهرات تحت شعار "لا أعياد ولا احتفالات، إلا بتنفيذ القرارات" وكان صديقا حميما لأخي إبراهيم وذات يوم اقترح الأخ "إبراهيم" على الأخ "عبد الله الكبسي" أثناء حوار بينهما في منزلنا في الصياد على تنظيم الشباب والاستفادة من حماسهم وطاقتهم لحماية الجمهورية والثوريَّة من مغبة الانحرافات الخطيرة التي ستؤدي بروح الجمهورية، وتقضي تماما على روحها وبدأ يعمل من أجلها. فتم العمل على ذلك

بعد فترة قصيرة تلقى الأخ "إبراهيم" دعوة لحضور اجتماع حول تكوين منظمة للشباب فتم الاجتماع وتقرر انتخاب لجنة تحضيرية لكي تشرف على انتخاب لجنة تأسيسية وأسفر عن فوز الأخ محمد الرباعي أمينا عاما، وصالح عنقاد وعبد الجبار غنيمة. ولم يحضر ذلك الاجتماع الأخ المرحوم عبد الله الكبسي لمرضه) وفاز أيضا الأخ أمين هاشم عضوا، والأخ" أحمد السنيدار أمينا مساعدا. واكتملت الترتيبات ولم يبق سوى الإشهار الرسمي. وفي يوم ٢٥صفر١٣٨٤ / ٥يوليو١٩٦٤ عقدت منظمة الشباب افتتاحها في جو جد متوتر وذهب قاسم والعقيد علي سيف والقاضي الارياني إلى"العمري" الذي كان يهدد بضرب الحاضرين فأقنعه العقيد علي سيف بالحضور وقد افتتح الحفل الأخ محمد الرباعي بكلمة طويلة ورائعة وبحسب رأي الأخ أمين هاشم فالمنظمة كانت جهدا اتحاديا ولاشك)

ثم تكونت لجنة مكونة من "محمد عبده نعمان" و "احمد مساوى" و "قاسم الوزير" لصياغة الخطاب الذي سيلقيه الأستاذ "محمد عبده نعمان" باسم القوى الوطنية في مؤتمر شراره. وفي الأحد ١٧ رجب ٢٢/١٣٨٤ نوفمبر ١٩٦٤ عقد المؤتمر،وكان مؤتمر شراره بمثابة مهرجان كبير تمثَّل فيه الشعب اليمنى بمختلف فئاته وألقيت الخطب باسم الضباط الأحرار والمشايخ والمثقفين، ألقى الأستاذ "محمد عبده نعمان" خطاب القوى الوطنية وأجمع الخطباء على التنديد بالوضع والدعوة على الحفاظ على المضامين الثورية والروح الجمهورية، وعلى إبراز الإرادة اليمنية واعتمادها في اتخاذ القرارات.

وازداد التوتر بين الشباب وخاصة اتحاد القوى الشعبية وبين المصرين إلى مطالبتهم الرئيس السلال بحبسهم لكن الرئيس لم يوافق، على أنه كان سيوافق في النهاية أو لم يوافق فسوف يتم الاعتقال باسمه مكرها. فلم يعد أمام اللجنة المركزية إلا أن تأخذ قرارات المؤتمر، وتغادر صنعاء في طريقها إلى الخارج، لتنقل رأي الجمهوريين الأحرار إلى العالم العربي ليضع حدا لسيل الدماء المهجورة.وخرج وفد السلام من "صنعاء" تلقاء "عدن" يحمل مهمة النظام ضد قوة الزناد في مهمة صعبة الغاية.

في عدن عقد الوفد مؤتمرا صحفيا أوضح مطالبه ولخصها في شعار (الماضي المظلم لا يعود، والحاضر الدامي لا يستقر والمستقبل يقرره الشعب) وطير برقيتين إلى كل من الملك فيصل والرئيس ناصر يطلب منهما الأذن بالوصول أليهما لعرض وجهة نظره في السلام العادل فرحب فيصل ولم يجب ناصر فطارا إلى جده وقابلهم الملك وعرضوا عليه وجهة نظرهم في السلام وخروج الجيش المصري وإيقاف المساعدات للملكيين وعدم التدخل في اليمن وإقامة علاقات أخوية مع الجميع فوافقهم الملك، وكلما هو مصر عليه هو خروج الجيش المصري من اليمن ومنها طاروا إلى بيروت وعقدوا مؤتمرا صحفيا كان له ضجة كبري تداولته وسائل الأعلام العربية والدولية وهاجمته الصحف الناصرية واتهمته بالشيوعية وسمت بعض الصحف قاسم بالرئيس الروسي بولغانين لأنه قام بنشاط هائل مع الأخوين البعثيين منح الصلح و الياس الفرزلي والصحفي المشهور ميشال أبو جودة وغيرهم من اليساريين وبعد أن طاف وفد السلام أو كما أطلقت عليه الصحافة اللبنانية بالقوة الثالثة توزع أعضاؤه في كل من عدن وجدة والرياض يسعون كلهم للسلام العادل وفق ذلك العنوان الماضي المظلم لا يعود والحاضر الدامي لا يستقر والمستقبل يقرره الشعب في مؤتمر يمني شامل بعيد من أي نفوذ خارجي مهما كان شكله أو نوعه وكان ممثلوه يحضرون أي مؤتمر يعقد في الداخل ويطرحون رؤيتهم للحل وكان هذا العنوان يلقى قبولاً حسناً في الأوساط السياسية والإعلامية.

(١٣)

وفي الداخل عقد مؤتمر خمر لمعالجة الوضع المتوتر، ولم ينجح بل كان تفشيله سببا لفرار كثير من المشايخ إلى السعودية بما فيهم أعضاء بارزين في لجان المؤتمر مثل "حسين المقدمي" و"محمد الفسيل" الذين وصلا إلى بيروت لعقد مؤتمر صحفي يوضحان هدف ما أطلقت عليه الصحافة اللبنانية "الجمهوريين المنشقين ولم يعدو ما كان يطرحه وفد السلام وبشكل قاس ضد المصرين والرئيس السلال وعادا إلى الطائف ليلتحقا بالجمهوريين المنشقين الذين كانوا قد وصلوا إلى الطائف وألتقاهم الأخوان إبراهيم وقاسم وتم التفاهم معهم على عقد اتفاقية الطائف التي دعت إلى قيام دولة مؤقتة تتشكل من حكومة من الشباب المثقف ومن برلمان يمثل فيه كل ألوان الطيف اليمني يعمل على عقد مؤتمر يمني شامل بعيد عن أي نفوذ خارجي مهما كان شكله ونوعه وخرج المؤتمر بميثاق الطائف الذي كان يعتبر أيضا المخرج الوحيد للمصريين والسعوديين من مأزقيهما وبموافقة الملكيين، على الدولة من الناحية القانونية لا الواقعية ألغيت الملكية. واستقبلت ميثاق الطائف اليمني بموافقة المئات من اليمنيين من أهمهم الأستاذ أحمد محمد نعمان وابنه محمد الذي وصل إلى جدة حاملا رسالة من والده الأستاذ نعمان والقاضي الإرياني والأستاذ العيني يعلنون فيها تأييدهم لاتفاقية الطائف. وفي خلال ذلك كان أخي قاسم يشارك في كل اجتماع ويقوم بدور كبير في إصلاح أي خلاف بين المؤتمرين الشخصية أو في المصطلحات القانونية والتشريعية باعتباره الأوسع ثقافة إسلامية ويسارية ويمينية.

وكاد المؤتمر أن ينجح لولا عاملين اثنين الأول هو وصول الرئيس ناصر إلى جدة وصدور البيان الداعي إلى اجتماع الجمهوريين والملكيين في مؤتمر حرض الأمر الذي أعاد للملكيين وجودا بعد أن كان قد الغي في مؤتمر الطائف. والثاني عدم موافقة الدولتين المصرية والسعودية والجناح الجمهوري الحاكم على قيام المؤتمر اليمني المستقل، وكان من أسباب عدم الموافقة عليه نهوض اليسار اليمني وتألقه والذي تمثل بقيادة المرحوم... الذي دافع عن صنعاء قي حصار صنعاء فأحسن الدفاع، وكان الخوف من شعبيته أن اختلفت القيادة السياسية معه ودار القتال بينهما انتهت بمصرعه. وباستشهاده تفرد الجناح اليمني بالحكم.

ومن خلال هذا الجناح اطمأنت المملكة السعودية إليه فكانت المصالحة على أن يدمج أشخاص ملكيون في الحكم وهذا ماتم. وتشكلت الوزارة الخليط وطلبت صنعاء من اتحاد القوى الشعبية المشاركة في الحكم في المجلس الوزاري وفي الحكومة، ولكنه رفض أي مشاركة تنبثق من "الغرف الرسمية داخلية وخارجية" وأصر على موقفه بأنه لن يشارك إلا من خلال مؤتمر شعبي حر مستقل تنبثق عنه حكومة جمهورية دستورية مستقلة.

(١٤)

بخروج الجيش المصري من اليمن وباعتراف السعودية ساد السلام ربوع اليمن إلا من مناطق هنا وهناك تلاشت تباعا، وبذلك تحقق للاتحاد هدف من أهدافه ولكن قيام مؤتمر يمني شامل حر ومستقل وبعيد عن أي نفوذ خارجي لم يتحقق، ولو تحقق وخاصة بعد انهيار الملكية لما شهدت الحكومة ذلك الصراع المرير بداء بتولي القاضي عبد الرحمن رئاسة المجلس الجمهوري بغد انقلاب عسكري وقبلي على الرئيس السلال، وما لبث الرئيس الإرياني أن وجد نفسه "حكما" لا "حاكما" يقضي معظم وقته يصلح ما بين المتخاصمين، ومن يقرا مذكراته يخرج منها بانطباع كامل بأنه كان ضحية من جاء به. وأخيرا أطيح به من قبل هؤلاء الذين جاءوا به بتحريض ودعم مالي من السعودية وجاء الرئيس "إبراهيم الحمدي بتأييد من المملكة لكنه حاول التخلص منها بالتوجه جنوبا من أجل الوحدة بين الشطرين فلقي مصرعه على ما هو معروف وبعد أن حظي بشعبية لم يحظ بها رئيس جمهوري وخلف الرئيس الغشمي ولم يمهل فلقي مصرعه، وخلفه الرئيس صالح بدعم قوي من المملكة ومن الأمريكيين وعرف عهده باغتيال خصومه من ناحية وبكرمه الذي اسكت الأفواه عن مظالمه. واستمر حكمه طويلا، وفي أعوامه الأخيرة قامت حركة أنصارالله كرد فعل على النفوذ الوهابي فدخلت السعودية وصالح في حروب ستة خرج منها منتصرا، ثم زحف جنوبا فدخل صنعاء وتعز وعدن، على أن دول الجوار رأت في ذلك خطرا ماحقا فدعمت خصوم أنصار الله دعما قويا ودخلت في حرب ضروس لمدة سبع سنوات لم تحرز السعودية وحلفائها إلا انفصال الجنوب الذي تمزق بين قوى مختلفة هي انعكاس للمولين الكبار.

أخرج من هذا الاستعراض بأن قيام حكومة يمنية منبثقة من مؤتمر وطني شامل بعيد عن أي نفوذ خارجي كان الأسلم والأصح. لأن النفوذ الخارجي الذي كان يقيم الرؤساء ويخلعهم نتيجة استفراد جناح وتم إقصاء بقية الأجنحة ولأن ن رؤساء قبائل معروفة استغلت السلطة لمصلحتها، ولو كانت الحكومات قد انبثقت من قاعدة عريضة لما تمكن الخارج من عزل رئيس وقتل أخر ونفي ثالث بدون أن يجد من يقف ضده.

(١٥)

في ظل السلام قرر الاتحاديون العمل لدعم جمهورية شعبية عن طريق نصح الحاكم بالرسائل والكتب والمقابلات الشخصية والتوجه نحو الشعب نفسه كما فعل المرحوم عباس بن علي الوزير الذي ترك صنعاء وتوجه إلى بني ظبيان فشق فيها الطرق وبنا مدرسه وأصلح بين أهلها وبينهم البين ثم انتقل إلى خولان فشق طريقا في الجبل للسيارات وبنا له بيتا ومسجدا هناك وبقي يرشد الناس ويصلح بين الناس وانتقل إلى ربه وهو يصلح بين بني ظبيان والسهمان

وبقي إبراهيم يؤلف الكتب يشرح فيها مبادئ اتحاد القوي الشعبية ويحاضر وكذلك كان القاسم يكتب المقالات ويحاضر في المراكز ولم يقتصرا على ما يجري في اليمن وإنما مد بصره إلى ما يجري في العالم الإسلامي من خطوب، كتب القاسم فعبر عن مأساة فلسطين" بقصيدة "صوت في المناحة(ديون مجموعات شعرية١٤٣) وعن "البوسنة والهرسك مقاطع من ملحمة سراييفو" (ص١٧٤) أشعارا باكية نائحة لعلمهما أن ما يمس أي قطر إسلامي هو نتيجة خطة عامة، فالدفاع عن هذه أو ذاك هو دفاع عن الكل بناء على القاعدة القرآنية {إن هذه أمتكم امة واحدة}

بقي القاسم يناضل عن القيم الناجحة بكل ما يملك من مواهب شعرا-وهو الشاعر الكبير- ونثرا وهو الكاتب البليغ، ولعل من يقرأ كتابه "حرث في حقول المعرفة" قراءة متبصرة يدرك انه كتب كتاباً مماثلاً لكتب "رسو""العقد الاجتماعي" الذي كان أحد الأسباب في قيام الثورة الفرنسية.

ومن يقرا ديوانه "مجموعات شعرية"لا يطلع على تحليقه شعره العالي من الناحية الفنية، ولا من ناحية انسجام الكلمات مع بعضها بعضا كلحن ليس فيه نشاز،وإنما يغوص في الأوجاع الأخوية القريبة والبعيدة وكأن كل وجع جرحا في وجدانه فيبكي رحيل أهله وأصدقائه اليمنيين ومن شاركوه في المسيرة كقصيدته في مرثاه الشاعر الكبير الاتحادي علي عبد العزيز نصر"حييت قبرك عن بعد(ص١٧٤)و قصيدته"أحزان الشفق" في مرثاة رفيق العمر أخاء وجهادا ابن عمه "أحمد بن محمد الوزير"، (ص١٨٨).وكم كان حزنه على شاب يتيم صارع الحياة ولم يثنه عسر الحياة عن الكد والجهاد فدرس وتخرج،وبدأت الحياة تبتسم له،فتقدم بطلب يد شريكة حياته وفجأة هجم عليه السرطان فأرداه شهيدا، فحزن الشاعر عليه حزنا بليغا عبر عن أحزانه عليه بقصيدته الباكية "سلام على علي"(ص١٩٦) كذلك أحس بسهم جارح عندما سمع بوفاة ابن بعض الرفاق تباعا إلى رحمة الله رثاهم حزينا بقصيدة الفراق الحزين (ص٢١١ وما بعدها) وكذلك قصيدته سلام على طه، (ص١٩٥)، كما بكى العلامة "أحمد بن مُحمد الوزير أبرز رواد التنوير الأوائل بقصيدة سماها العلم الذي انطوى (ص٣١٩) وقصيدته جئت بالدمع اعتذر بكى فيها صديقه النبيل الشاعر"أحمد بن علي زبارة (ص ٢٢٥) وكان مصابه الأليم بالاتحادي الخلوق "أحمد يحيى المداني موجعا فعبر عن ذلك عن ذلك بقصيدته "الفقيد الذي لم يفقد.(ص ٢٣١)تلك كانت مشاعره نحو رفاقه وبني عمه رفاق الجهاد

ولقد ابتلي قلبه الحنون بحادثتين أصمت فؤاده الأولى عندما سمح له بالخروج من السجن إلى الحديدة للمعالجة فزار مقبرة الصديقة ليزور قبر شقيقته "أمة الخالق" فسكب على ضريحها قلبا سائلا وعينا باكية سماها على قبرها(ص٤٤١) وليست هذه الأحزان الذي انصبت على قلبه الحنون كافية بأن تنهكه ـ فقد تلقى بعد تلك سهما أصاب قلبه فأدماه، وذلك عندما تلقى-كان بعيدا عنها- خبر مصرع أبنته المثقفة وهي في ريعان الشباب وعلى وشك أن تتزوج في حادث صدام في طريق المدينة المنورة فاعتصم بالله وصبر صبر الفرسان وفي قلبه نواح مكتوم وجرح يصيح وعبر عن حزنه بقصيدتين الأولى كتابات على ضريح سمية: نزيف قلب(ص٢٦٥) والثانية كتابات على ضريح سمية: تقرير عن حالة نفسية(٢٨٩)

كل تلك الأحزان اليمنية أصابت قلبا صبورا صامدا، ولكن أحزانه لم تتوقف عند أهله ورفاقه، بل مد بصره إلى الأفق الإسلامي فيرثي رجاله الأوفياء ويشاركهم أحزانهم، وعندما استشهدت حرم الأستاذ المؤمن "عصام العطار"بيد المخابرات السورية وكانت من التقوى على درجة عظيمة شارك زوجها المجاهد المؤمن بقصيدة صدى الرحيل (ص٢٥١) وقصيدته "وغاب فارس عن الميدان" يرثي فيها المفكر الإسلامي المصري "محمد المسماري(ص٢٩٧). وكقصيدته "صلاة الشعر" في رثاء الأستاذ الشاعر المعروف"عمر الأميري"(ص٣١٠) وكذلك قصيدة سلام عليك يرثي بها العلامة الكبير "خالد محمد خالد"(ص٣٢٠) وانظر أيضا قصيدته "أوليس غير الحزن؟" في رثاء صديقه "هارون المجددي(ص٣٣٧) وانظر قصيدته في ذكرى عبد العزيز الرفاعي(ص٣٥٥). وكذلك قصيدته في رثاء الدكتور "معروف الدواليبي"(ص٣٦٦)

كل تلك المصائب كانت تنزل عليه بين الحين والأخر فيتلقاها بقلب صبور والذي لفت نظري أنها على كثرتها تتناول موضوعا واحد هو الرثاء إلا أن لكل مرثاه معان لم تتكرر في مرثاة أخرى مما يعني أننا أمام موهبة لا تفنى معانيها ولا تتوقف إبداعها.

وقد اخترت عمدا الإشارة إلى مراثيه بالتحديد لا من أجل أن احدد ملامح شخصيته العامة، ولكن من أجل أن أصل إلى الحديث عن إنسانيته والتي عبر عنها في أكثر من قصيدة، ولعل قصيدته "عنواني" تكشف رؤيته الأنانية ومن الخير أن أسجلها هنا

قالوا: تغربت مختارا فقلت لهم
كنتُ "المُغرب" في أهلي وأوطاني
قالوا: عجبنا تركت الدار آهلةً
فقلت: لكن بقطعان وذئبان
قالوا: ومنصبك المرموق؟ قلت لهم:
حمل من الزور في أكناف طغيان
قالوا وجاه على النعماء سابغة؟
فقلت: من تحتها آلام نيران
قالوا: فأهلك؟ قلت: الله يكلؤهم
قالوا: ونفسك؟ قلت: الله يرعاني
قالوا: وماذا إذاً؟ قلت" اتركوا رجلاً
من غير أقطاب ذاك المحفل العاني
إني أهاجر لاخوفاً ولا طمعاً
لكن حفاظاً على نفسي كانسان
أصيح في الفوات الربد علّ صدى
يعيد رشداً لرعيان وقطعان
لا تلتمسني عند القوم مثلهم و
ألقاك في ساحة الجُلّ وتلقاني
قالوا " وعنوانك الآتي. فقلت لهم:
الحق حيث يكون الحق عنواني

ولابد لي من الطواف عن إنسانية الإنسان في قصيدته"الرصيف التائه"وهي من الشعر الحديث المدور الذي يجيده إجادة تامة.

مشيت في الشارع تائها
بحث عن مطارق الأبواب
وقفت عند كل باب
يلا يد تدق
فتشت في الأسواق
عن الذين لايطففون الكيل والميزان
أمسكت كل عابر
هززته محاولا إبلاغه السؤال
هز إلي رأسه المكدود... هز رأسه بلا جواب
وواصل الذهاب والإياب
وحين حدّقت وجته بلا لسان
أغمضت غينيّ لكي أكون قادرا على المسير
سددت أذنيَّ لكي أكون قادرا على السماع
وكي أكون قادرا على الكلام
طويت- خلف أطباق فمي- لساني
ورحت ذاهبا وآيبا أعذب الرصيف
أركض في صفوفهم:
أبحث مثله عن الإنسان
في الإنسان

هذا هو القاسم بن علي الإنسان كما عرف نفسه والسياسي كما عرفته وهذا هو الشعر الذي قل أن يرتفع إليها الشعراء إلا في بين الحين والحين كما قال شاعر بليغ

كلما ضاقت البرية ألقت
عبقرياً أو شاعراً أونبيا

أما المفكر فلم أتعرض له تاركا المجال لأخوة كرام تولوا ولعلي أعود إلى الوقوف مع ديوانه الذي أعتقد أن من لم يقرأه لن يعرف القاسم والشاعر والمفكر.

ولقد مضى إلى ربه سعيدا كما دعا له والده في لحظة قدومه إلى الدنيا ومات شهيدا حميدا وتركن اردد مرة أخرى

مال أحبابه خليلاً خليلاً
وتولى اللدات إلا قليلا
نسلوا أمس من غبار الليالي
ومضى وحده يحث الرحيلا

وإلى أن ألقاك وتلقاني عليك السلام ورحمته وبركاته.

AL SHOURA الشورى
الشورى في الأمر • العدل في القال • الخير في الأرض

عدد خاص - بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل
الأستاذ القاسم بن علي الوزير رحمه الله
الثلاثاء: 22 ذي القعدة 1446هـ - الموافق: 20 مايو 2025م

الأستاذ القاسم وحديثه عن الديمقراطية

"إذا غابت الديمقراطية حلت الدكتاتورية محلها

"الحرية شرطاً جوهريا لا غنى عنه لوجود ديمقراطية أصلاً

"الديمقراطية فكراً هي مناهضة ومناقضة لاحتكار الصواب

"لا ننفي وجود القوانين في عالمنا ولكننا نقول أن السيادة ليست له، بل عليه فالعصبيات قبلية أو حزبية أو عسكريه أو مذهبية أو عائلية هي التي تحكم القانون

بقلم : قاسم بن علي الوزير

تقوم الديمقراطية على توازن القوى في المجتمع، ذلك هو الأساس الذي لا يمكن أن يكون لها وجود واقعي عملي بدونه.

ونحن نتكلم عن الديمقراطية كما نراها قائمة في الواقع المشهود، أي في حالة كينونة فاعلة في "واقع" تطبعه بطابعها، وتشكل ملامحه وقسماته، وتسير شؤونه. إنه – على هذا – تعريف انطباعي بمعنى أنه مستمد من وصف لواقع مشهود، وليس تعريفا قاموسيا أو فلسفياً يتشعب به القول إلى مناح متعددة من الوجهة الفلسفية البحتة.

ونحن نعمد إلى هذا التعريف الواقعي الانطباعي عمداً؛ لأن ما يعنينا هنا هو تحقيق الديمقراطية واقعا لا تعريفها نظرياً.

لقد كانت الديمقراطية – فيما انتهت إليه – محصلة نضال طويل وعسير خاضته مجتمعات عانت الأمرين من اختلال توازن القوى الاجتماعية فيها اختلالاً جعل الأقوى ينزل بالأضعف دائما أفدح المظالم، ومن ثم كان الصراع الدامي و"المؤامرة" المستمرة هما الأسلوب المتبع لبلوغ الأهداف أو نيل الحقوق السياسية أو الاجتماعية المختلفة حتى انتهى الأمر بتلك المجتمعات إلى توازن في القوى أبدع وسائله وأدواته في سياق تطور تاريخي ظل يقوّم عوجه باستمرار معطياً نتائجه الايجابية التي نراها اليوم واقعاً مشهوداً ماثلاً للعيان. حيث لم ينته "الاختلاف" – لا في الفكر ولا في المصالح – وإنما جرى التسليم به حقاً متساوياً للجميع ضمن إطاره الذي حدده المفهوم الجديد "للقوة" المنبثق من قيام ذلك التوازن في القوى الاجتماعية. ولم يختف "الصراع" وإنما أستبدل – لذات السبب – أدواته التي أصبحت "آليات" تجري بها الأهداف والدوافع المختلفة معاً إلى نهاية تحكمها الإرادة العامة المعبرة عن تراض عام مستقر، والمنبثقة منه أساساً. وذلك بالنزول عند رأي الأغلبية الذي تم الاتفاق والتراضي العام على الإذعان له دون أن يعني بأي حال تجريداً للأقلية من حقوقها أو تضييقاً عليها أو كبتاً لها.

لقد أصبح "الصراع" – بفضل ذلك التوازن – سلمياً أو قل "تنافسياً" قائماً على مؤسسات تكفل صيانة المجتمع من عقابيل الصراع العنيف الذي يحسم بمنطق الغلبة لمصلحة القوي، بما تنطوي عليه الغلبة من وسائل القهر والإخضاع. بعبارة أخرى أصبح "الصراع" مساجلة بين قوى تتمتع بنفس الحقوق. وليس بالضرورة نفس القوة، مساجلة قائمة على مؤسسات تكفل صيانة المجتمع من أن يجور جانب كليةً على أخر (ونقول "يجور" ولا نقول "يفوز") حافظة – بذلك – التوازن بين قواه وفئاته المختلفة. وحين يختل ذلك التوازن لأي سبب من الأسباب، فان الاختلال يصيب النظام كله دون شك. وليست النازية والفاشية إلا البرهان الشديد الوضوح على ذلك , إذ أفضى الاختلال في التوازن – لأسباب عديدة ليس هذا مجال بحثها – إلى غياب الديمقراطية وحلول الديكتاتورية، والحق أنه إذا غابت الديمقراطية حلت الدكتاتورية محلها.

في قراءتنا للواقع الديمقراطي، نجد الديمقراطية متمثلة – من الناحية السياسية – في التبادل السلمي للسلطة، وفي حقوق الانتخابات والمشاركة والمساءلة من جهة، وفي التوازن بين قوى هذه السلطة نفسها الذي تحققه استقلالية السلطات الثلاث عن بعضها، وتجعل للسلطة القضائية المستقلة اليد العليا من جهة أخرى، ومن ثالثة قدرة المجتمع على مقاومة طغيان تلك السلطة أو الدولة وكبح جماحها بفضل قوى المجتمع المدني ومؤسساته التي تقاوم شهوة العدوان الكامنة في طبيعة السلطة ذاتها أياً كانت، وتوقفها عند حدودها المتفق عليها. و"الدستور" – عادة – يمثل "عقد" ذلك الاتفاق. وليست الانتخابات , والإضرابات , والاعتصامات، وحرية وسائل الأعلام، وحرية تدفق المعلومات، وحق الحصول عليها إلا من جملة وسائل المجتمع المقابلة لوسائل الدولة لتحقيق تلك الغايات.

وبالإضافة إلى ما تؤديه تلك القوى المذكورة أنفا من دور على المستوى الاجتماعي فان الديمقراطية تتجلى – من الناحية الاجتماعية – كذلك في كونها أسلوبا يتحقق بها الحوار أو المساجلة بين القوى المختلفة داخل المجتمع وتتحرك به نحو غاياتها. وبإمكاننا أن ننظر إلى الإضرابات والإعتصامات مثلا – وهما من أعلى درجات العنف مظهراً في مجتمع ديمقراطي حقاً – باعتبارها أدوات حوار عملي قوي في يد المجتمع، لأنها تنتهي باتفاق على هذا النحو أو ذاك بما يحقق قسطاً من العدل يتم التراضي عليه بقوة الحق المجردة. ومن هنا يصبح الحوار – حتى في شكله هذا – طابعا أصيلاً وبديلاً" للصراع "الدموي العنيف بين القوى الاجتماعية في المجتمع الديمقراطي. وذلك بفعل القواسم المشتركة التي يحددها ذلك المفهوم الاجتماعي نفسه للديمقراطية، لأنها قد غدت "ثقافة" المجتمع التي تحدد سلوكه وتطبع نشاطه، ومن ثم يصبح "الحوار" الفاعل أساساً للوصول إلى الحق أو للدفاع عنه على حد سواء. ولهذا كانت الحرية شرطاً جوهريا لا غنى عنه لوجود ديمقراطية أصلاً، ومتى افتقدت الحرية، فقد انتفى أن تكون هنالك ديمقراطية.

إن تجريد الديمقراطية من الحرية هو تجريد لها من روحها. ولعل بِدع مقولات كالديمقراطية الشعبية بما تتضمنه من "ديكتاتورية البروليتاريا" أو "الطبقة" قد انهارت تماماً مع انهيار الأنظمة التي رعتها وتسلحت بها.. بل ربما كانت السبب الأول في ذلك الانهيار.

ولا بد من إدراك الأساس المعرفي للقيم العملية في المجتمع الديمقراطي حتى نفهمه جيداً، لأنها هي التي أنجبت الديمقراطية فإنها إنما تنبثق وتقوم على ذلك الأساس. وفي هذا فأننا نستطيع أن نكتفي بمثالين اثنين يجزيان عن بقية الأمثلة ويغنيان بالقسط المطلوب في الأداء لإيضاح المثال الذي يطرد به القياس ويستقيم. وأعتقد أننا نفي بذلك إذا وقع الاختيار على الحرية والمساواة.

فإذا كنا ندرك معنى الحرية في سياقها العملي وندرك المساواة في إطارها القانوني ؛ فان مدلولاتهما المعرفية أكثر أهمية في هذا الصدد.

على هذا المستوى فان الحرية أصلاً لا تعني حرية التصرف (التي إطارها القانون) بل حرية الفهم التي إطارها المعرفة، وحرية الاختيار بناءا على ذلك الفهم. وبهذا تتعدد الرؤية إلى الحقيقة وتختلف تبعاً لذلك. ومن ثم لا يكون ثمة مجال البتة لاحتكار الحقيقة انطلاقاً من ذلك الأساس المعرفي للحرية.

وكذلك الحال مع المساواة. فعلى الصعيد المعرفي لا تعني "الحقوق" و "الواجبات" (التي مجالها القانون أيضا) ولا الفوارق العرقية (التي مجالها العلم). وإنما تعني – معرفياً – الحق في النظر إلى حقائق الحياة وأطوار الوجود وآيات الطبيعة بحرية، فما دام الجميع متساوين في هذا العمل فهم في النتيجة متساوون في حق الوصول إلى تلك الحقائق على نحو مختلف. وما دام ذلك الحق مكفولاً للجميع بنفس القدر فمن ذا يجرؤ على ادعاء الحقيقة كاملة واحتكارها؟.

إذن، فالحرية والمساواة كلتاهما – معرفياً- يمنعان احتكار الحقيقة أو الامتلاك المطلق لها، ويفضيان إلى التسليم بتعدد المفهوم واختلاف الآراء والرؤى، ويفضي ذلك إلى "النسبية" التي تمنح هذه التعددية، وما يترتب عليها، أساسها المعرفي، والتي تقوم عليها الديمقراطية من بعد اجتماعياً ثم سياسياً، فإنما على ذلك وبه تصبح التعددية السياسية والاجتماعية والفكرية ممكنة في الواقع.

وهذا الترتيب مهم في فهمنا للواقع الديمقراطي : لأن الاستقراء الدقيق للتاريخ ولواقع الديمقراطية معاً لا يؤكده فحسب بل يجلوه شرطاً من شروط وجودها على نحو حقيقي.

وقضية النسبية هذه ضرورة شرطية. ولكنها قد تعرضت للشطط الذي خرج بها عن مدارها الصحيح. وتدفع الحضارة المعاصرة ثمن هذا الشطط بما نراه من عوج واضطراب في جانبها الأخلاقي والاجتماعي يهزها هزاً شديداً وينذرها بالسقوط.

وإنما أتاها "أي النسبية" الخلل من المبالغة فيها حين أخضعوا القيم العليا المتسمة بالإطلاق والثبات لمنطقها المحدود والمتغير.. فتقوضت العلاقة بالأسمى وتلاشت القدرة على التسامي إلى الأعلى، ومن ثم كان الانحدار إلى الأدنى هو النتيجة المحتومة. ولكن شأن المجتمعات المتطلعة إلى الديمقراطية أشد خطورة، لأن بعض مثقفيها يريدون خطأ أن يؤصلوا لجانب الشطط وحده من هذه القضية، فإنهم لا يتحدثون عن "النسبية" إلا لينزلوها غير منازلها ويجروها في غير مجراها. وبذلك يفقدون الاتجاه الصحيح إلى الديمقراطية، ويتجهون نحو أمراض مجتمعاتها. وهذا في الواقع هو أحد أسباب الخلل الرئيسية التي يعاني منها العالم الثالث – ونحن في القلب منه – بسبب بعض مثقفيه.

على كل حال ؛ إن الديمقراطية – سياسياً – تقوم على الديمقراطية اجتماعياً. وهذه تقوم على الأسس المعرفية لثقافة تطبع المجتمع، وتحدد سلوكه ووجهته معاً وفق مفهوم أو فكر عام تم التراضي عليه بحرية واختيار.

وعلى أساس من ذلك – سياسيا واجتماعياً – يتشكل "الواقع" الاقتصادي في المجتمع الديمقراطي ويأخذ طابعه وفقاً لطبيعة القوى الأكثر تأثيرا في مؤسسات ذلك المجتمع وفي ثقافته. وإننا نرى بوضوح انه حيث تتغلب حوافز الحرية الفردية، فان المصالح – ومن ثم القوانين – تتخذ نفس الطابع : فتصل الرأسمالية ذروتها كما في أمريكا. ولكن حيث تتغلب الحوافز الاجتماعية تتجه المصالح وتتكيف القوانين على نحو مختلف تبعاً لذلك، ومن ثم تتحقق اشتراكية أكثر نضوجا كما نرى في دول اسكندنافيا التي ذهبت في مجال العدالة الاجتماعية شوطاً بعيداً بالديمقراطية ذاتها المطبقة في الجانب الأخر من المعادلة.

والعبرة التي نستخلصها من ذلك هي أن الديمقراطية تكفل سلمياً – ضمن أساسها الثابت من توازن القوى الاجتماعية – إمكانية الوصول إلى هدفين مختلفين بأسلوب ديمقراطي تبعاً لمنطق ذلك التوازن الذي قد يرجح لهذا أو ذاك ولكن دون أن يختل بحكم وجود الحد الضروري المشترك من العدل الذي لا يقوم توازن بدونه..

مفهوم القوة الجديدة

إن الديمقراطية إذن هي علاقة بين أطراف أو قوى متعددة مختلفة المصالح وهذه العلاقات تقوم على أساس من الاختلاف الذي ينطوي على جوهر الصراع من أجل الغلبة عن طريق امتلاك القوة التي تحقق ذلك. إن الجديد هنا هو مفهوم القوة. انه يميز الديمقراطية عن غيرها من أشكال القوة، فالقوة هنا لم تعد قوة الإكراه أو القهر وإنما قوة القانون المدعوم برأي عام، المنبثق من أسس معرفية فاعلة أصلاً، والمعبر عن توازن قوى المجتمع. إنها القدرة على إقناع الأكثرية بمنطق المصالح أو بمعيار الأخلاق. فهذه الأكثرية التي تعطي الصوت الغالب هي التي "تجسد القوة" ولكنها محكومة بقوة أخرى هي قوة الحق للأقلية لا في أن تمارس حقوقها فقط، بل حقها في أن تكون أكثرية. وبذلك فان الأقلية لا تنسحق أمام الأكثرية ولا تغيب وإنما "تعارض" ومعارضتها هذه تغدو إثباتاً للذات بما تمثله وحفاظا عليها بما تستهدفه. ونضالاً لامتلاك قوة الأكثرية لتحقيق أهدافها. وهكذا تصبح المعارضة سمة لازمة من سمات الديمقراطية. وبذلك تصبح القوة موزعة بالضرورة بين الفريقين بنسب مختلفة ولكن كافية لحفظ الحقوق ؛ وعلى هذا فان المعارضة هي المعادل الموضعي للحكم نفسه.

هذا هو "التغيير" المهم الذي طرأ على مفهوم القوة وموازينها، وهو وحده الذي يؤدي أو يحقق تداول السلطة سلمياً وديمقراطياً. ولو انتفى هذا المفهوم أو تعطل هذا الميزان للقوة لانتفى كل إمكان للتداول السلمي للسلطة ولتغير معنى الصراع وطبيعته وأشكاله. حينئذ تعود الأمور غالى مجراها التقليدي فيكون الطغيان والديكتاتورية – سواء كانت ديكتاتورية فرد أم حزب أم عشيرة أم عائلة أم انكشارية عسكرية – ويكون مدار الصراع على قوة السلاح وامتلاك وسائل القمع، ويكون "العنف" أو "المؤامرة" هما وسائل "تداول" السلطة أو احتكارها ووسائل العمل المضاد معاً.

إن مفهوم القوة هذا عامل مهم جداً في إدراكنا لطبيعة العملية الديمقراطية، فليست الديمقراطية إلغاءً للصراع ولا إنهاءً للاختلاف، ولا مسحاً للذكاء الإنساني في المناورة وابتداع وسائلة لتحقيق مصالحة أو مطامحه. ولكنها إلغاء للعنف، وإنهاء لفرض الرأي الواحد، ونفي للمؤامرة واستبدالها جميعاً بوسائل جديدة متوائمة مع طبيعتها القائمة على التسامح والتصالح والاعتراف بالآخر.. وهلم جرا إلى أخر القيم التي تقوم عليها الديمقراطية. ومعاد هو القول بأن ذلك كله ما كان له أن يكون لولا عامل التوازن في القوى الاجتماعية الذي أعطى ويعطي "المعنى" أو "المفهوم الديمقراطي" للقوة محتواه الايجابي.

المجتمع المدني

والكلام عن توازن القوى في المجتمع الديمقراطي يتصل اتصالاً وثيقاً بالكلام عن قوى المجتمع المدني التي تكفل ذلك التوازن وتحققه فلا تفرط فيه قوة على أخرى ولا تطغى، إنها القوة المانعة لطغيان السلطة أو الدولة التي تستشري بطبيعتها طالبة المزيد.. ولكن الأمر الأكثر أهمية هنا هو أنها "توقف" السلطة وتحد منها وتواجهها ليس من أجل أن تحل محلها، وإنما لتلزمها حدودها المتفق عليها. أي أنها بمثابة الحارس الذي يصدها عن التجاوز، تاركة مصير السلطة ذاتها لعملية التداول السلمي الذي هو النتيجة العملية لذلك التوازن نفسه تبعاً لتغير موازين القوة نتيجة لتغير مفهومها في المجتمع.

وقد تعرض مفهوم أو مصطلح "المجتمع المدني" لسوء فهم واسع، وبخاصة في عالمنا. مما جعله – برغم وضوحه – غير واضح للكثيرين، وجعله عرضة للتشويه والشطط والاضطراب بين الداعين إليه والرافضين له على حد سواء.

والسبب في ذلك آت من اختلاف النظر إلى الموضوع. وليس من الموضوع نفسه. فحين يتحدث باحث غربي فانه يعرفه بأنه "الحالة الاجتماعية المقابلة للحالة الطبيعية، والناجمة عن عقد اجتماعي كما قال بذلك روسو وسان جوست" (المعجم الفلسفي – لالاند Lalande). أما حين يتناول باحث عربي الموضوع فانه يعرف المجتمع المدني بأنه "المجتمع المدني وليس المجتمع الديني.. المجتمع الذي يفصل بين السلطة الدينية والسلطة السياسية" (حسن حنفي – مجلة "الوسط" العدد ١٥٥، تاريخ ١٦ / ١ / ١٩٩٥).وفارق بين الأمرين.

ولكنه الفارق الذي يكشف لنا موقع الخطأ الذي يقع فيه الكثيرون حين لا ينظرون إلى المصطلح من خلال وظيفته القائمة في الواقع، أي طبيعته، وإنما من خلال نشأته في الماضي، أي أسبابه في مسار مجتمع ما في مرحلة من تاريخه.

إن المفاهيم – وخاصة الاجتماعية – تاريخية، بعكس "القيم". ولذلك فهي متطورة بالضرورة. فإذا كان فصل الدين عن الدولة أو عن السياسة مثلا أصلاً في وجود النهضة الغربية لأسباب خاصة بها – وهو أمر لا جدال فيه – فليس كل ما نتج عن هذه النهضة ناتجاً بالضرورة أو مرتبطاً بذلك الفصل من ناحية. ومن ناحية أكثر أهمية لا ينطبق ذلك على تطور مجتمعات لم تعان من ذات المشكلة لانعدام الأسباب التاريخية الموضوعية لها. ومن هنا ؛ ليس ثمة ما يحول بين هذه المجتمعات وبين الاستفادة من حكمة الحضارات الأخرى وتجاربها. ونحن نعلم انه بسبب الصراع الذي نشب بين الكنيسة وطلائع المجتمع المدني في سياق التجربة الغربية أصبح مفهوم المدني مناهضاً لمفهوم الديني وهو أمر خاص بتجربة مجتمع محدد هو المجتمع الغربي في نطاق تطور خاص به غير قابل للتعميم لا تاريخياً ولا علمياً ولا واقعياً. والذين يحاولون ذلك إنما يقومون به "قسريا" على غير هدى.. فان التجارب الاجتماعية نفسها لا تنقل ولا تقبل ذلك. لكن نتائجها أو دروسها وحتى قوانينها هي التي يمكن الاستفادة منها باعتبارها من تراث الإنسانية العام، و"الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها".

ومن أجل هذا يتطلب النظر إلى ذلك "تكييفاً" متجدداً بحيث نتناول ونعرف مثل هذه القضايا من حيث طبيعتها أي وظائفها وليس من حيث أسبابها أي تاريخيتها التي لا تختلف فقط من مجتمع إلى أخر بل من فترة إلى أخرى في المجتمع الواحد ذاته.. ومن أصولنا البالغة الدلالة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

ما هو إذن المجتمع المدني؟

من الناحية الانطباعية، وهي المنهجية التي اتبعتها هذه السطور كما أسلفنا منذ البداية توخياً للغايات العملية التي تتطلع إليها مجتمعاتنا، قد يسهل القول – نقلا عن الواقع أو وصفاً له – انه يتمثل في تلك المؤسسات الوسطية التي تملأ المساحة أو الفراغ – إذا شئت – القائمة بين الناخب والمنتخب أو بين المجتمع ككل وبين الدولة ممثلة لحقوق المجتمع ومدافعة عنها، أمام عدوان قوى السلطة – الدولة الحديثة التي بطبيعتها تحب التوسع على حساب تلك الحقوق والعدوان عليها.

أبعد من ذلك أن المجتمع المدني كائن جاء من مجمل التكوين الاجتماعي والثقافي والسياسي والقانوني حيث تنبثق السلطة ذاتها من ذلك التكوين نفسه وتجد نفسها مقيدة بشروطه. وحيث من جهة أخرى تنبثق قوى اجتماعية مستقلة عنها للحد من طغيانها أو انحرافها، ولأداء مهمات أخرى تكمل دورها وتسد الفراغات التي تتركها. وفي ظروفها الغربية الخاصة، فقد نشأت لمواجهة سلطة الكنيسة، ونتيجة لتلك المواجهة. ومن هنا أصبح المدني ضد الديني في هذا السياق الخاص بل المتميز الخصوصية. أما اليوم فان قوى المجتمع المدني إنما تواجه سلطة الدولة لا الكنيسة، وهو تطور كبير يكاد يضع الكنيسة أقرب إلى قوى المجتمع المدني منها إلى الدولة..

وههنا "مسألة" كما يقول الأقدمون..

فإذا كانت مكونات المجتمع المدني هي تلك المؤسسات، فأننا نجد مجتمعاتنا مزينة بمثلها. ومع ذلك فليس هنالك أبعد من القول أنها "مجتمعات مدنية" (إلا أنها مجتمعات دينية). ذلك لأن العبرة ليست في وجود المؤسسات وإنما في فاعليتها. فبدون ذلك تصبح المؤسسات كالجسد بلا روح.

وإذن فما هي "الروح" التي تعطي هذه المؤسسات حياتها.. أي فاعليتها؟

لقد حاولت البحث عن "عامل رئيسي" ترجع إليه العوامل الأخرى أو تصب فيه أو تفسر به. واعدت النظر مرتين في استقراء "الواقع" واستخلاص جوابه.

نعم ! إذا ما استقرينا الواقع وأحسنا الاستقراء ؛ فسنجد أن التسليم العام بسيادة القانون سيادة حقيقية، هو تلك "الروح" التي تمنح الحياة والفاعلية لمؤسسات المجتمع المدني. إذ يصبح "القوة" المهيمنة التي تحتكم إليه، وتخضع له كافة المؤسسات سواء منها المنتمية إلى المجتمع أم إلى الدولة. إذ من أين تستمد مؤسسة مدنية أو اجتماعية "قوتها" لمواجهة مؤسسة سلطة أقوى منها بما لا يقاس؟

الجواب واضح : من "القانون" الذي يهيمن على الجميع ويخضع له الجميع. وهكذا فان مراسلاً في صحيفة "الواشنطن بوست" ما كان له أن يهز أقوى رئيس في العالم حتى برغم على الاستقالة – بصرف النظر عن الدوافع – لو لم تكن سيادة القانون هي القانون الأول.

ونعود إلى "توازن القوى الاجتماعية" الذي أفضي إليه تطور فكري وتاريخي معين: لنجد السبب الأول في هذه السيادة المحسومة للقانون (باعتباره التعبير عن العقد الاجتماعي الذي أشار إليه معجم لالاند)، بما أفرزته من ثقافة، ونسجته من علاقات, وحققته من تغيير في "مفهوم القوة" ؛ فهذه كلها ولا ريب عناصر متضافرة، ولكن "سيادة القانون" هي المحصلة الظاهرة والمباشرة التي أعطت المجتمع المدني طابعه المشهود، ومنحت مؤسساته فاعليتها.

كما رأينا الديمقراطية سياسياً تفرز الحكم والمعارضة بنفس الوقت: فإننا نراها في المجتمع المدني تفرز السلطة كما تفرز المؤسسات الوسيطة في ذات الوقت كذلك، من أرضية مشتركة ذات حقوق وواجبات مشتركة يحكمها قانون واحد. كما يكفلها "توازن" ثابت مستقر على تراض عام – حر.. ومن هنا تكتسب مؤسسات المجتمع قوتها... من ذات القانون الذي يمنح السلطة "صلاحيتها" و "مشروعيتها".

وبهذا يصبح المجتمع المدني هو بيئة الديمقراطية التي تعيش فيه ؛ فالمجتمع الديمقراطي هو مجتمع مدني بالضرورة والعكس صحيح إلى حد ما..

وإذا كان المجتمع المدني هو ذلك المجتمع الذي تكون السيادة فيه للقانون، فإن سيطرة أو سطوة العصبية – بكل أشكالها – تفقد مخالبها وأنيابها. هذا لا يعني بحال أنه لا يوجد شيء من ذلك في المجتمعات المدنية، ولكن "وجودها" مقرون بوجود الوسائل المتاحة للقضاء عليها أو الخروج منها. ونحن نرى مثلاً حركة السود في أمريكا تنتزع حقوقها الواحد بعد الآخر بهذه الوسائل التي تقضي بها على العصبية العرقية خطوة خطوة كلما تقدم وعيها وقامت بواجبها نحو نفسها مستفيدة من "سيادة القانون" تجاه العصبية السائدة بالواقع والتي تتراجع أمام القانون كلما قام ذو حق بواجبه لنيل حقوقه. وانه لهذا السبب يحرز السود في أمريكا من الحقوق أكثر بكثير من تلك التي يحرزونها في قارتهم ذاتها، بالرغم من "السيادة والاستقلال".

وحين نقول أننا لا نمثل حالة "مجتمع مدني" فأننا لا ننفي وجود قانون ؛ فما أكثر هذه القوانين في عالمنا. ولكننا نقول أن السيادة ليست له، بل هي في الحقيقة عليه، فالعصبيات قبلية أو حزبية أو عسكريه أو مذهبية أو عائلية هي التي تحكم القانون وليس العكس لان هذه القوانين لم تصدر عن عقد اجتماعي وإنما عن حاجات سياسية للفئات الحاكمة، والدساتير نفسها تبدل كما تبدل الملابس في المناسبات وبالسهولة نفسها، وهي حالة تنطبق علينا – نحن المسلمين – بصفة خاصة منذ غابت سيادة الشريعة فسادت قوة "الطاغوت" وأستفحلت، خاصة بعد الانقلابات العسكرية التي أضافت إلى العصبيات واحدة أشد عتواً وأكثر عنفاً..

تلك هي الديمقراطية كما تقرأ في واقعها المطبق وإذا كان ثمة أضافه لازمة، فهي الإضافة التي لا يجهلها من يمارسها ويعيش في كنفها أو يتتبع مسيرتها في مظانها من مراجع البحث أو في مسارها من وقائع العمل بها في الواقع. وتلك هي: أن الديمقراطية هي مراجعة مستمرة غير جامدة. وليست وقفاً على نظام دون أخر. فهي منظومة من القيم والثقافة تصنع الأنظمة وليس العكس وهي لهذا تطور وسائلها كلما تطورت مشكلاتها واجدة لها الحلول المناسبة. ثم هي بارتكازها على الحرية – تصحح أخطاءها على نحو مطرد، وتعالج أسقامها بأسلوب متجدد. إذ الحرية وحدها – وهي مناط مسئولية الإنسان – هي القادرة على ذلك. والحرية هي روح الديمقراطية بلا جدال. ولقد رأينا بأم أعيننا كيف انهارت نظم وإمبراطوريات بسبب عجزها عن معالجة أمراضها أو تصحيح أخطائها. ولم يكن ذلك العجز إلا لانعدام الحرية التي إذا غابت حلت العبودية محلها تحت أي اسم.

ومن ذلك كله ندرك أن الديمقراطية هي نتيجة تطور حي طويل ؛ نمت كأي كائن بايجابياتها وسلبياتها، حتى أصبحت وجوداً طبيعياً قائماً بالفعل، تعيش في كنفه مجتمعات تتنفس فيه كما تتنفس الهواء. ولا أبلغ في الدلالة على ايجابية ذلك الوجود من هذه الأصوات العميقة الصادرة من صميم الفكر الديمقراطي ذاته ؛ ناعية سلبياتها وفاحصة في أمراضها. ذلك لان "الكائن "القوي لا يجأر إلا إذا أحس بألم من داء أو عرض من ضعف أو خوف من عاقبة ؛ فهو يرى المرض لأنه معافى. فليس من المنطق في شيء أن يعمد هذا أو ذاك إلى هذه الظواهر أو تلك الأصوات ليصدر حكمه القاطع على الديمقراطية بالويل والثبور وسوء المنقلب وعدم الصلاحية، لأنه إنما يحكم بجهله على نفسه!

وما من أحد قط يدعى أن الديمقراطية هي نظام مثالي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (لأن الديمقراطية فكراً هي مناهضة ومناقضة لاحتكار الصواب)، وأقصى ما يصل إليه مؤيدوها هو القول : أنها إن لم تكن الأمثل والأكمل فهي أفضل ما وصلنا إليه حتى الآن..

ومن حق من يعيش الديمقراطية متمتعاً بآلائها أن يتحسس مواطن الضعف فيها طلباً للعلاج. ويتلمس جانب النقص تشوقاً إلى الكمال. أما الذين يعيشون في ظلام العبودية فأولى لهم أن يفتحوا عيونهم على ايجابيات الديمقراطية حتى يتعلموا ما ينفعهم، ويعملوا حتى يخرجوا من ظلام العبودية إلى نور الحرية ثم يتكلموا حينئذ – إذا أرادوا – عن الأمراض والأعراض ؛ فإن "المريض" الذي يطلب العلاج ليصح، غير الصحيح المعافى الذي يتوقى المرض ليظل صحيحاً معافى.

ولا يصح الخلط بين "صحيح" يتحدث عن "العلل والأمراض" من وجهة وقائية، وبين "مريض" تنهشه الأسقام المزمنة وتفترسه الجراثيم القواتل: فيشن الهجوم على العوارض الجانبية تفادياً لتعاطي العلاج نفسه. إن هذا بحد ذاته حالة مرضية خطيرة تستحق المعالجة أيضاً.

الشورى AL SHOURA
الشورى في الأمر • العدل في القال • الخير في الأرض

عدد خاص - بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل
الأستاذ القاسم بن علي الوزير رحمه الله
الثلاثاء: 22 ذي القعدة 1446هـ - الموافق: 20 مايو 2025م

الطريق إلى المستقبل

حسب رؤية الأستاذ القاسم بن علي الوزير

ألقى الأستاذ والفكر السياسي الكبير المرحوم القاسم بن علي الوزير، محاضرة قيمة حول الطريق إلى المستقبل وذلك في مركز الحوار العربي بواشنطن في العام ٢٠١٧م

الطريق إلى المستقبل (١)

لقد آن أن نولي وجوهنا وعقولنا، وجهودنا شطر الطريق إلى المستقبل، وحيثما كنا -ايدولوجياً أو حزبياً أو ميولاً – يجب أن نولي وجوهنا شطره ؛ فإننا – وحتى الآن – ما زلنا نعيش في الماضي – أو على الأصح – نعيش الماضي : نستجر آلامه ومواجعه، ونستحيي ذكرياته ومصطلحاته ومدلولاته وشعاراته، ونشتبك مع وقائعه وأحداثه في معارك حق أو باطل لن تغير منها – على كل حال – في قليلٍ أو كثير.. ولكنها تحبسنا في مجالها فنضل ندور فيه دوران جمل المعصرة في المعصرة، ومن ثم نستدعي منطقه وننزله على واقع بائس يتخبّط في مآسيه فتزيده إرباكاً وبلبلة وحيرة بدلاً من اتخاذه قاعدة انطلاقٍ واع ورشيد إلى مستقبل منشود : مستقبلٍ نريده ولا نعمل من أجله. نستدبره ونستقبل الماضي باستدعاء منطقه ولغته طارحين مشاكله على واقع لا يقبله وعلى مستقبل يرفضه، وهذا هو العبث بذاته. بل هو الضلال البعيد الذي يجعل القضية الأساسية تعاني الاغتراب في حومة الصراع !

وما هي القضية؟

إنها المستقبل : كيف نريده، وكيف نبنيه، وكيف نصل إليه وكيف نجعل من حاضرنا سبيلا إليه لا صداً له.

أسئلةٌ يركب بعضها فوق بعض لا تكاد تسمع لها ركزا في صخب الحرب ولا تلمح لها طيفا في غيبة الفكر وغربة الوعي. قد شغل عنها " المثقف " بالانتماء إلى هذا الفريق أو ذاك أو قنع – في أحسن الأحوال – بالتعليق على الأحداث وتحليلها بمقتضى الميول والأهواء وكذلك شغل عنها " الجمهور " بأعباء الحرب وتداعياتها ومآسيها، وأثقال العيش التي أصبحت أشد وطأة من الحرب وأفدح أثاراً من القتال !..

وهنا أحب أن أكون واضحا كل الوضوح ؛ فأنا لا أنكر أهمية النظر إلى الماضي بعين فاحصة ودراسته بأسلوب علمي، فذلك شرط لفهم الحاضر وشرط من الشروط الأساسية لبناء المستقبل..

نعم ! يجب أن ندرس الماضي أعمق الدرس، ونقرأه أعمق القراءة، ولكن نقرؤه لا نعيشه وندرسه لا نستعيده، ونستوعبه لا نكرره ونفحصه فحصا يميز بين ترابه وتبره، ونستخلص دروسه وعبره : ندفن الرمم الميتة منه ولا نبعثها، ونستثمر العناصر الحية إمداداً للمستقبل بمصادر للقوة والتجربة والفعالية في تقدمنا إلى الأمام.. نحو المستقبل..

ومن البلية أننا لا نفعل ذلك، بل إننا نغرق في الماضي نردد مقولاته ونستحيي تقاليده ونتراشق بهذه أو تلك من عوارضه فنحيد بالقافلة عن الطريق ونتنكب بها عن سواء السبيل:

أنظر – إذا شئت – إلى ثقافة الإقصاء بمنطق القدرة عليه وحدها، وإلى ممارسة الاستعلاء بحجة القوة وحدها، وإلى الاحتكام إلى العرف الجائر لا الشرع العادل. أنظر إلى ذلك كله وإلى غيره من الظواهر السلبية تجد البرهان الساطع على أننا نعيش الماضي القريب المظلم ونسحبه سحباً إلى الحاضر الدامي ألذي أصبح امتداداً له لا حقلا خصبا تبذر فيه بذور المستقبل الذي نريده وتقوم عليه أسس الغد الذي نتطلع إليه..

ثم أصخ السمع – إذا شئت – فهل تسمع إلا مكاءاً وتصديه لشعارات مندثرة، وتنابز بعنصرية فجة ومذهبية شاذة لا مكان لها في قاموس من يؤمن بمبدأ المواطنة التي يتساوى بها الجميع، وتتكافأ بها الفرص، وتكتمل بها المساواة في الحقوق والواجبات. ويتحقق بها العدل.

ألا ترى أن إحياء تلك المقولات وترديد تلك النعرات على اختلافها وانتمائها إلى ماض أنقضى – إنما هو استدعاء لها للإقامة بيننا والاستيلاء على الواقع الراهن المفرغ من كل معنى إيجابي؟ وإذا كان ذلك لا ينسجم مع منطق التاريخ وحركته، فانه قد ينسجم مع " مكر التاريخ " حسب تعبير " هيجل " !.

لقد اغتالوا عمداً ثورة ٢٠١١ م لأنهم يريدون بهذا كله أن يهيلوا عليها التراب حتى لا يقوم عليها المستقبل كما ينبغي أن يقوم ...

وعلينا أن نحفظ العهد ونحمي المستقبل : ندق بابه ليفتح، ونبذر ثقافته لتنمو ونرسى قواعده لتقوم.. هذا هو الطريق إلى المستقبل

وأول العمل في هذا ومن أجله.. إنما يبدأ بالاستعداد له، والاقتناع به ومن ثم حشد طاقات المؤمنين به لإيقاف هذه الحرب العبثية الظالمة بكل وجوهها الكريهة، وبكل عناصرها إذ لا يمكن – في مصطرع رياحها الهوج – للعمل الجاد في بناء المستقبل أن يمضي لوجهته أو يبلغ غايته.

إن إيقاف الحرب وإنهاء العدوان هو الأولوية الراهنة التي يتوقف عليها أمل الآمل، ونجاح العامل. وعلى عاتق القوى الوطنية المستنيرة كافة ومن أي اتجاه – والعلماء منهم والمثقفين خاصة – تقع مسئولية الاضطلاع بهذا الدور. وهذا الدور بذاته يقتضي التجرد من كل انتماء ضيق فاؤيا، أو حزبياً، أو مناطقياً، أو مذهبياً، أو عائلياً، والتلاحم ضمن موقف وطني شامل وجامع لإيقاف الحرب المدمرة حفاظاً على كيان الأمة من التشظي والانهيار وعلى معايش الناس من الاندثار وطريقاً وحيداً إلى مغادرة الحاضر البائس إلى المستقبل.

هذا واجب لا يشذ عنه إلا ناكر لحق الوطن عليه أو عالم خائن لأمانة علمه، أو "مثقف" جاحد لدوره متخل عن رسالته:

إن السبيل إلى ذلك هو – أولاً – تأييد أي صوت يرتفع، ومساندة أي جهد يحتشد من أجل ذلك بصرف النظر عن هوية مصدرة، ثم – ثانيا – المبادرة العاجلة لتجميع هذه الأصوات البارة والجهود المحمودة في تكتل

> **" كيف نريد المستقبل؟ وكيف نبنيه ونصل إليه؟ وكيف نجعل من حاضرنا سبيلا إليه؟ "**

وطني شعبي جامع يشكل قوة ضغط فعال تقف به قوى السلام في جانب ودعاة الحرب أعداء السلام في جانب ويتميز بذلك الحقُّ من الباطل، ويتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من فجر المستقبل،

هناك مبادرات سبق بها لفيف من الوطنيين وكتابات بادر بها بعض الكتاب المستنيرين، عليها يجب أن تبنى الجهود حتى يتحقق الائتلاف الوطني المنشود.

إن السلام هي الأرضية المشتركة التي تنطلق منها طلائع المستقبل وهي – كذلك – الأرضية التي ستتيح – متى تحققت – لكل فرد وكل جماعة الحرية الحقة في وطن يتسع لجميع أبنائه في إطار مواطنة تتساوى فيها الحقوق والواجبات.

إن المستقبل يبدأ من هنا! وإن صوت الفكر والمنطق يرتفع عندما يخفت صوت العنف. وإن الحرية إنما تشرق شمسها عندما تنزاح غيوم الاقتتال ببروقها و صواعقها، وإن العدل إنما يتحقق عندما تصبح القوة للحق وليس الحق للقوة التي يفرضها منطق البندقية وبطش الاستبداد!

فلنتفق الآن على هذا، ولنعطه موثقاً من الله أن نخلص له الإخلاص كله ولا ندخر جهداً على مستوى الفكر والعمل وعلى مستوى الدعوة إليه والتبشير به وعلى مناهضة من يقف في وجهه بالقول الشارد أو الجهد الحاقد أو طرح الشروط التعجيزية التي تباعد ولا تقرب وتنفخ في النار ولا تطفؤها.

***

الطريق إلى المستقبل (٢)

إيقاف الحرب وتحقيق السلام ليستا قضية واحدة،هما قضيتان تتعلق إحداهما بالأخرى،ولكنهما مختلفتان!

إيقاف الحرب هو المدخل إلى تحقيق السلام،هذا صحيح !

وتحقيق السلام هو الأرضية التي ينطلق منها ركب السلام إلى المستقبل.أي أنه الذي يبدأ من حيث تنتهي الحرب وينتهي من حيث يتجسد في المستقبل بشروط بقائه واستمراره..

فليس كل إيقاف للحرب أو القتال – بحد ذاته – هو تحقيق للسلام ؛ فقد تتوقف الحرب ولا يتحقق السلام بمعناه ومضمونه. وها نحن – على سبيل المثال – نرى الحرب متوقفة مع إسرائيل ولكن لا سلام قائم بل عوامل حرب مستأنفة اليوم أوغداً. وإن أحببت فإني سائقٌ إليك مائة شاهد وشاهد على ذلك من تاريخنا القريب والبعيد..

إن الحرب هدم وعداوة، والسلام بناء واستمرار ووئام..

وأهم أسباب الحرب الظلم : حرب ظالم على مظلوم أو معتدٍ على معتدى عليه. أو ثورة مظلوم على ظالم ابتز أمر الأمة بالقوة وسار فيها بالعسف والظلم والطغيان..

الأولى جريمةٌ..

والأخرى ضرورةٌ..

وإيقاف الحرب دون أن يصحبه أو يتلوه تحقيق السلام الحقيقي هو استئنافٌ للحربِ بعد حين. لهذا فإيقاف الحرب الآثمة هذه هي ضرورة عاجلة وواجب محتوم ؛ لأن السلام – بدون ذلك – لن يتحقق ومن ثم يظل المستقبل يبعد عنا. ونعني بالسلام ذلك الذي يتحقق به الاتفاق العام على مجموع الضمانات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لتي ينعقد بها الرضى الحر المطمئن، وتنسج فيه القيمُ العليا شبكة علاقاته جميعاً، وتقوم عليها الروابط التي توحد مجتمعاً ما على قواسم مشتركة ومفاهيم جامعة تحرسها جميعاً سيادةٌ مسلّمٌ بها لقضاء مستقل..

إن ذلك يقتضي بالضرورة " الحوار " الحر والعام بين القوى الاجتماعية على اختلافها، وما من سبيل إلى ذلك إلا بإيقاف الحرب أولاً..

إن السلام الذي نريده ونسعى إليه ونتطلع إليه هو السلام المستمر. وما هو بسلام قط ذلك الذي لا يحقق " الخير" الدائم للمجتمع برمته.

والسلام – بهذا المعنى – محجوب بهذه الحرب. وإذن فهذه الحرب يجب أن تتوقف.

هذه هي المعادلة بكل بساطة..

وإذا كان أهم أسباب الحرب، أي حرب، هو الظلم فان أهم شروط السلام هو العدل..

وإذا كان معنى الحرب ونتائجها هو ما نرى وما نشهد وما عبر عنه الشاعر القديم:

وما الحرب إلا ما علمتمْ وذقتمُ
وما هو عنها بالحديث المرجَمِ

فان معنى السلام يجب أن يفهم على حقيقته ؛ وأن يفضي هذا الفهم إلى الوعي به، وأن يفضي الوعي به إلى العمل من أجله وأن يفضي العمل من أجله إلى أن يتجسد في واقع قائم ثابت الأركان على الحرية والمساواة والعدل.. واقع هو المستقبل الذي يجب أن نولي وجوهنا شطره..

ولكي نصل إلى ذلك. يجب أن تتوقف الحرب أولا. نعيد القول ونكرره. نعم ! يجب أن تتوقف هذه الحرب. ذلك هو المدخل الآمن إلى المستقبل..

من أجل ذلك طرحت أفكار، وارتفعت نداءات نبيلة من أفراد ومن جماعات تقترح حلولاً وتتوخى مخارج. وهذا حسنٌ وحسن جداً ولكنه غير مؤدٍ إلى غايته المرجوة.

وأنا هنا لا أحبُ ولا أريدُ أن أضيف رؤية شخصية إلى ما قدمه السابقون بالخير. واحسب أن الخطة المثلى والأدعى إلى النجاح والتوفيق هو أن يجتمع لذلك كل الساعين لإقامة العدل. وكل العاملين لتحقيق السلام أي كل من يرون الرأي ذاته ودون استثناء أو إقصاء لأي كان فرداً أو حزباً أو هيئة أو فعالية. فإذا اجتمعوا تدارسوا الأمر بكل جوانبه وخلصوا إلى " مشروع " متفق عليه بينهم تتكون على أساسه " كتلة " تنهض بالأمر دون تجاوز لفئة أو تحيز لجهة.. وانطلقوا من ثم صفاً متراصاً واحداً يدعون المتحاربين إلى إيقاف الحرب ويقدمون بين أيديهم دعوة السلام !

على أن الأمر لا يبدو بهذه السهولة ؛ فان وراء كل طرف من المتحاربين حسابه الخاص وأهدافه. ومصالحه وما ولدته الحرب ذاتها من مرارة وعقد صعبة الحل وزرعت من أحقادٍ، وشرٍ، وبلاء عظيم.

ولو تجاوزنا هذه المشكلة فهل نتجاوز دور القوى الخارجية الواقفة وراءهم بمصالحها وغاياتها وأطماعها؟.. لا جرم أن العبء ضخم ثقيل. ولكن لا مناص من مواجهته وإيجاد حلول له. ونحن نطرح المشكلة بغية دراستها بعمق وإيجاد حلول عملية لها وهو ما يتطلب وحدة وطنية يشذ عنها من شذت به المصالح الضيقة عن سواء السبيل.. سبيل الأمة التي تتعرض للتفتيت والاستملاك !.

لقد آن للجميع أن يستشرفوا أفق مستقبل جديد وذلك بالتداعي إلى كلمة سواء ورأي جامع يؤلف وحدة موقف منبثق من وحدة تصور يسفر عن عقد اجتماعي ليس بين الحاكم والمحكوم فحسب بل بين قوى المجتمع كلها عقد قائم على العقيدة الواحدة التي تجعل المؤمنين إخوة، وعلى الوطن الواحد الذي يجعل المواطنة المتساوية أساس تلاحمه ووحدته وعلى العدل الشامل الذي يحرسه ويصونه..

إن " كتلة " السلام يجب أن تولد وتشب عن الطوق وتحمل الأمانة بقوة، وتنشر دعوتها بحكمة. وتحمل " مشروعها " – بعد إقراره – إلى المتحاربين ليتوقفوا عن الاحتراب ويستبدلوه بحوار يخرجهم ويخرج الوطن من الظلمات إلى النور، ومن الحرب إلى السلام فان استجابوا، فذلك ما يبتغي المخلصون ويفرح به المؤمنون وتقر به عيون العاملين له وعيون الأمة التي أرهقها ظلم الظالمين، وعقوق بعض أبنائها الذين أضلهم سامريُ الأطماع عن النهج الواضح، والحق المبين ؛ فان أبوا أو أبى أحدهم فقد باء من أبى بأثمه وإثم الضحايا المهولة والخراب المدمر والدم الغزير وتقاسم البلاد بين القوى الطامعة وضياع المستقبل لا سمح الله..

وحق – حينئذ – أن يتلو القارئون قول الله عز وجل:

" وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفئ إلى أمر الله فان فآءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين " صدق الله العظيم.

دعونا نأمل..

دعونا نعمل..

الشورى AL SHOURA
الشورى في الأمر - العدل في القاضي - الخير في الأرض

عدد خاص - بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل
الأستاذ القاسم بن علي الوزير رحمه الله
الثلاثاء: 22 ذي القعدة 1446هـ - الموافق: 20 مايو 2025م

رغم بعده عن وطنه اليمن ، وعن الوطن العربي بشكل عام واغترابه في بلاد المهجر لأسباب لا داعي لذكرها في الأسطر إلا هموم الوطن والأمة العربية والإسلامية كانت في قلب وعقل ووجدان الأستاذ والأديب الكبير القاسم بن علي الوزير، والذي أسس مركز الحوار العربي بواشنطن ، ومن منبر هذا المنبر ألقى أستاذنا الكبير العديد من المحاضرات حول التطور والديمقراطية والمستقبل والتغيير وغيرها من القضايا الهامة وذلك لنهضة المجتمعات العربية مما هي فيه من تخلف عن ركب العلم والحضارة والتنمية التي يشهدها العالم .

في هذا الإطار ألقى الأستاذ القاسم بن علي الوزير محاضرة هامة في ندوة بمركز الحوار العربي بواشنطن يوم الأربعاء ١٣/٥/٢٠٠٩، وهي عبارة عن "أفكار حول الإصلاح والتغيير في البلاد العربية".

أفكار حول الإصلاح والتغيير في البلاد العربية

_ هل نحن بحاجة إلى إصلاح؟ وإذا كان الجواب نعم فالسؤال التالي: أي إصلاح هذا الذي نريده؟ وما هي مجالاته.. من ناحية طبيعته،ومن ناحية أخرى؟ وإذا تمكنا من تحديد ذلك أو الإجابة على هذه الأسئلة؛ فإن السؤال هو: هل يمكن القيام بذلك الإصلاح بدون تغيير؟.. وإذا كان التغيير مطلوباً أو ضرورة فما هي طبيعة هذا التغيير وما هي مواقعه المنشود تغييرها.. وماهية وسائله؟

سنحاول الإجابة على هذه الأسئلة، وأحسب أن الإجابات الصحيحة من شأنها أن توصل إلى التحديد المطلوب والنتائج المبتغاة..

أما أننا بحاجة إلى إصلاح؛ فأظن أن أحداً منا لا ينكر هذه الحاجة. بل لا يشعر بها ضرورة ملحة. ومع ذلك فثمة من يركن إلى أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان.. وعلى ذلك فلا حاجة إلى إصلاح ولا مسّوغ لا للقلق ولا للإقلاق مرددين قول الشاعر:

دع المقادير تجري في أعنتها
ولا تبيتن إلا خالي البال

ولكنا نتجاوز هؤلاء. لا لأنهم قلة لا يؤبه لها. وإنما لأنهم "حالة" ساكنة، في مجرى الحركة التاريخية قد تثبط ولكنها لا توقف جريان الحركة ولا اندفاع التيار!

نحن إذن بحاجة إلى "الإصلاح" أقول "الإصلاح" ولا أقول: "إصلاح". ففي حسباني أن البناء كله بحاجة إلى إصلاح شامل ينتظم الجوانب كلها..

ولو سألنا عالم الاجتماع لقال: الإصلاح الاجتماعي.. إصلاح حال المجتمع؛ لأنه لو صلح لصلحت الجوانب الأخرى. وبالنسبة لعالم الاقتصاد سيقول: الإصلاح الاقتصادي أولاً هو الأساس. لأن على أساسه تقوم الحياة الاجتماعية. أما عالم السياسة فسيؤكد أن إصلاح الوضع السياسي هو المدخل العملي لأي إصلاح؛ لأنها هي التي تنظم العلاقات بالقانون، بين القوى المختلفة، وتحقق النظام للحرية التي يتمكن بها المجتمع من إصلاح جوانبه المختلفة. الخ

على أن صوتاً آخر، عميق المصدر، سيردد: الثقافة هي البداية الطبيعية؛ لأن مجتمعاً لا ثقافة له لا وجهة له. وحيث أن الحكم على الشيء فرع من تصوره؛ فإن التصور هو عملية ذهنية عقلية بالأساس. كما أن "الفعالية" عملية نفسية وهي بذلك شرط لحركة المجتمع وتحرره من حالة الجمود والركود وانتقاله إلى حالة الحركة والفاعلية. وهذان الأمران وثيقا الصلة بالثقافة أن لم يكونا أهم مقوماتها؛ ولهذا فأن عملية الإصلاح الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي إنما تنبع من حاجة.. أصبحت مطلباً تم تشكله في المجتمع أولاً وفق تمثّله أو تصوره له، ويتطلب "فعالية" لا بد منها تمكن من تطبيقه وهذه "الفعالية" هي من نتائج الثقافة قبل أي شيء آخر.

ويبدو لي أن هذا التناول للموضوع هو "فرض" للفرقة بين كل يتكامل. ولا يتجزأ. ويتواءم ولا يتناقض. ويتواصل ولا ينفصل بعضه عن بعض. ولقد يكون مقبولاً من الناحية النظرية بغية الدراسة حيث تدرس كل ناحية على حده. ولكنها من الناحية العملية وبالذات في حالة "إنهاض" يتطلب الإنشاء والتركيب هي -كما قلنا- كل يتكامل ويتزامن بحكم الضرورة لحركة التاريخ وحركة المجتمع معاً. وتصبح الأولويات هي واقعية الخطى؛ بمعنى توفر الشروط والظروف الموائمة والوسائل لهذا أو ذاك في مجمل تلك الحركة..

أذن. نحن – فيما أرى- بحاجة إلى إصلاح شامل أي بمعنى آخر بحاجة إلى نهضة تتجدد بها قوانا، وتكفل بها حقوق إنسانيتنا وتنطلق بها قدراتنا، وتزدهر بها إبداعاتنا، وتتم بها إسهاماتنا في الحضارة البشرية والمسيرة الإنسانية؛ نستأنف بها دورتنا الحضارية ونبلغ رسالتنا في العالم..[وأقول: نستأنف ولا أقول نبدأ].

وإذا كان الأمر هو هكذا. فهل يمكن الإصلاح بدون تغيير؟

_ من الضروري هنا، أن نميّز بين مفهوم أو مدلول الإصلاح ومفهوم أو مدلول التغيير. الإصلاح – من حيث الجوهر- عملية تصحيح لأخطاء وتقويم لمعوّج. هو تسديد وتشييد، وهو تصويب.. وضعاً لمجتمع ما أو حالة ما أو حتى شيء ما في موضعه السليم المفيد.أما التغيير فيعني إزالة عوائق وتوفير وسائل وتهيئة مناخ. الإصلاح هدف يكون دائماً متجهاً إلى الأفضل.. إلى الأمام والتغيير وسيلة قد يكون إلى الأحسن وقد يكون إلى الأسوأ. والغاية -في نطاق حديثنا هذا- هو خير ومصلحة الإنسان!

وعلى هذا: فأن عملية الإصلاح المنشود تقتضي بالضرورة نوعاً من التغيير يتمكن به الإصلاح من التحقق العملي في الواقع أي الانتقال من النظرية إلى التطبيق. ومن الأهمية بمكان أن ندرك أننا هنا نتكلم عن عملية إصلاح بذاتها لمجتمع بذاته تعترضه العوائق من داخله ومن خارجه، وليس عن الإصلاح، بالمطلق، في أي مجتمع أو أي مرحلة من التأريخ..

ولقد تساعد معرفة "العوائق" على توضيح نوع ومناحي التغيير المنشود لتحقيق الإصلاح ومن المهم أن لا نغفل لحظة عن أهمية وضرورة ارتباط التغيير هذا بهدفه هذا؛ فليس مطلوبا أي تغيير لا يحقق أو لا يمهد للإصلاح.

ولا ريب بأن العوائق شتى منها التاريخية الموروثة، ومنها الوافدة المفروضة، ومنها الهجين المنبثق من الأمرين. وضمن الموروث تندرج مكونات شتى لهذه العوائق وضن المفروض الواغل تتكالب عوامل أخرى لصرف المجتمع عن مواجهة مشكلاته، وضمن "الهجين" تندرج "البلبلة" التي لا يتوحد بها رأي، ولا يستقيم بها عمل والتي تصرف المجتمع عن وجهته وعن هدفه!

وإزالة هذه العوائق شرط لتحقيق الإصلاح، وفي ذلك يكمن موضوع وطبيعة التغيير.. أي إزالة العوائق..

في إطار البحث عن الطريق تقدم الفلسفة بعض أجوبتها:

الفلسفة المثالية تقوم على أن "الواقع" الخارجي هو انعكاس للفكر. وعليه؛ فأن الأفكار هي التي تشكل الوقائع أو صورتها في الخارج أي في الواقع. فإذا ما أخذنا بهذا فإن التغيير يجب أن يبدأ من "الفكر" أو العقل أو سمه ما شئت..

لكن الفلسفة المادية ترى العكس؛ فهي ترى الفكر انعكاسا للواقع وعليه فأن مفردات هذا الواقع هي التي تشكل الأفكار والمعتقدات؛ فإذا ما أخذنا بهذا فأن التغيير يجب أو يتحتم أن يبدأ من تغيير الواقع [بالتطور أو بالثورة مثلا كما هي لدى الماركسية].

على أن كلا وجهتي الفلسفة هذه تفتقر إلى إدراك حقيقة العامل الذي يكمن وراء الفكر ووراء الواقع معاً، ويجعل من كليهما موضوعا قابلا للفعل والتأثر والتأثير. ونعني بذلك "روح" الإنسان الذي يستخدم الفكر والعقل ويشكل الواقع أيا كان انعكاس احدهما على الآخر..

فالإنسان كما هو جسد.. وعقل، هو روح أو نفس. وهذا هو الذي يصير به الإنسان إنسانا. وعليه فأن "التغيير" يبدأ من تحرير "روح" الإنسان من سيطرة الخرافة، في كل أشكالها، وسيطرة الجهل بكل صنوفه. وسيطرة الخوف بكل أنواعه وسيطرة الظلم والاستبداد بكل أشكالها. وبهذا يصبح الإنسان الحر هو وسيلة التغيير وهو هدفه لأن ذلك التحرير – بعقيدة صادقة – هو الشرارة التي تفجر طاقات الإنسان وتطلق قدراته في التاريخ ،أي في الزمن وفي الواقع، أي في المادة التي بين يديه، ويؤلف بفعاليته بينها جميعا فينتج المركب الذي نطلق عليه مصطلح حضارة.

فالإنسان هو البداية وهو المدخل.. تماماً كما أنه هو الهدف. والله سبحانه وتعالى يقول (أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وذلك ما انتهى إليه علم الاجتماع!

واراني الآن... اختصاراً للوقت وللموضوع أعمد إلى الاقتباس من مفكر جاد هو المستشار طارق البشرى في تعريفه للمجالات التي يتحدد بها هدف ومجالات الإصلاح المنشود و(هو –حسب تعبيره- يتلخص في ثلاثة عناوين:

_أساس الأمر كله هو استقلال الذات الحضارية للجماعة من حيث التكوين العقدي والنفسي لها وبما تبلورت به من رؤى ثقافية بأسس عقدية وتاريخية بدءاً من النظر إلى الكون إلى تحديد العلاقات الاجتماعية والقيم.

_الاستقلال السياسي الذي يتمثل في تأكيد تحرير الإرادة السياسية لجماعة من إمكانات الإملاء الخارجي عليها واستبقاء هذا التحرير والسعي لكف أكبر قدر من الضغوط الخارجية. وهذه هي سياسة أي دولة مستقلة.

_ الاستقلال الاقتصادي، بمعنى السعي لتوفير إمكانات التنمية الاقتصادية المعتمدة على الذات وتجنب أكبر قدر من الضغوط والتي تأتي مع هذا الجانب..

هذه عناصر صُيغت بدقة قانوني ضليع. وهي تقتضي وبخاصة البند الأول شرحاً يتناول كل مفردة منه بالتفصيل والتأصيل؛ لأنها تنطوي على شروط "يقظة الذات" – أي تغيير ما بالنفس- التي هي شرط وجود للنهضة..

وأود أن أضيف –على سبيل التأكيد- عنوانا رابعاً هو: الاستقلال القضائي، وتحقيق العدل السياسي والاجتماعي، وضمان حقوق الفرد والجماعة،وفي طليعتها حرياتهما!؟

فإذا كان ذلك هو المطلوب؛ فكيف الوصول إليه؟ ومن الذي يقوم به؟

وإذا كان ذلك يتطلب تغييرا فما هو هذا التغيير؟

هنا.. أود أن أسجل –أولا- ملاحظتين:

الأولى: تتعلق بمسألة الأولوية: وأكرر هنا ما سبق أن أشرت إليه أن هذه القضايا هي بمثابة أعضاء لجسم واحد يستدعي بعضها بعضاً ويتكأ بعضها على بعض، ويشد بعضها بعضا بحيث أن افتقاد عضو منها يصيب حركة الجسم كلها بخلل معيق..

وعلى ذلك فأن ما يحدد إصلاح هذه أو تلك من هذه الجوانب أنما هو الإمكان المتاح فحيث يتاح المجال تجب المبادرة. أن كل خطوة تنجز ستؤدي إلى خطوات في الجوانب الأخرى بالضرورة. أن سلم الأولويات هنا يحدده "المجال" الذي تتاح الحركة بأصنافها فيه.

أما الأولوية الحاسمة فهي يقظة الذات أو الروح التي يتحقق بها استقلال الذات باعتبارها المدخل إلى تحقيق ذلك كله.

الثانية: تتعلق بمسألة: من؟ وكيف؟ أن كثيراً من الكتاب والمفكرين ما يبرحون يكتبون أنه: يجب .. ويجب . يجب القضاء على الأمية؟ نعم! يجب. يجب القضاء على الفقر نعم يجب. يجب تحقيق السيادة على الأرض والحرية للناس، والعدل بينهم، والأمن للمواطن والتحرر من التبعية والاستقلال بالقرار وتحقيق التنمية والتقدم وامتلاك العلم والمعرفة وصيانة الاستقلال.. نعم! نعم يجب.. يجب ولكن كيف؟ ومن يقوم بذلك؟

في نظري: هنالك ثلاثة احتمالات أو فرضيات ولا أقول خيارات.

أولها ـ الدول:

وأنا استبعد واقعية هذا الاحتمال لثلاثة أسباب موضوعية وتاريخية. وبنيوية خاصة بأنظمتنا:

لقد نشأت الدولة القطرية (التي تشكل مجموعة دولنا) على أساس " التجزئة" التي فرضتها، وحددت معالمها، ورسمت أهدافها بالقوة إرادة الاستعمار الخارجي وفقاً لمصالحه وحفاظاً عليها...

وترتب على ذلك أن بنيت هذه الدول بناءً هشاً كقاعدتها. لأنها مفروضة على مجتمعات لا تتقبلها من جهة وتحقق مصالح من فرضها لا من فُرضت عليه من جهة أخرى..

من هنا فهي تمثل القوة التي أوجدتها.. وليس المجتمع الذي تحكمه. هذا هو أصل التناقض الحاد أو الفجوة القائمة بين حكوماتنا وشعوبها..

أضف إلى ذلك أن الاستعمار لم يكن السيطرة العسكرية المباشرة فحسب بل "الهيمنة" الثقافية والاقتصادية والتعليمية بشكل أساسي.. وهو ما أخرج "النخب" التي استلمت أو سلمها – بطريقة أو بأخرى – الحكم. وبذلك نشأت مصالح هذه النخب وتراكمت على ذلك الأساس؛ فارتبطت مصالح الطرفين على نحو يجعل أي تغيير مخلاً بالمعادلة ومن ثم انعقد الاتفاق الضمني على الحفاظ على الأمر الواقع.. صحيح أن هذه النخب قد صدقت في النضال من أجل الاستقلال السياسي ولكنه الاستقلال على "النموذج" الذي أراده الاستعمار القائم على "وطنية" الدولة "القطرية" وذلك بحكم تكوينها وثقافتها المتأورية وليس "عمالتها"..

وبهذا المعنى يسقط –موضوعيا- هذا الاحتمال أو هذه الفرضية.

ثانيها ـ قوى المجتمع:

وأنا أيضاً استبعد هذا الاحتمال؛ لأن هذا المجتمع قد سلب الحرية زمناً طويلاً وتعرض للقمع والمصادرة دهراً مديداً. وتقلبت به التجارب من سيئ إلى أسوأ ومن خيبة إلى أخرى حتى أورثها ذلك السلبية والاستسلام والخوف من القادم المجهول.. ثم هذا وهو المهم في هذا السياق أن أنظمة الاستبداد التي توارثته، وقوى الهيمنة التي ساندتها قد عمدت خلال ذلك كله إلى تفكيك عرى الجماعات داخل المجتمع وهدم بنائها التقليدية والجديدة، وتمزيق "روابطها" وتشتيت وحداتها..من أحزاب، أو نقابات، أو روابط بناءات موروثة، كجماعات الحرفيين والتجار وتنظيمات الأحياء والحارات وغيرها من روابط المجتمع القديم ووحداته ومن هنا فقدت القدرة الاجتماعية وسائلها وآلياتها التي تمكنها من التحرك الفعال..

_ لابد أذن من إيقاظ "روحه" لاستعادة وعيه وتحرير إرادته، واستعادة شبكة علاقاته وروابطه ووحداته الاجتماعية وإخراج مؤسساته المدنية من غرفة الإنعاش "المبردة" حتى درجة التجمد التي فرضت عليها وذلك إذا أريد لقوى المجتمع أن تقوم بالدور المطلوب..!

عندما انطلقت "ثورة الديمقراطية" في التسعينات من القرن المنصرم، وتداعت الأنظمة الشمولية واحداً بعد واحد تحت ضغط الجماهير الهائجة وهديرها المزلزل، بقيت شعوبنا خارج تلك الحركة التاريخية لا تكاد تحس بذاتها ولا بما حولها...

ولقد عنّ لي أن أتفكر في أسباب ذلك فخطر لي أن هنالك سببين رئيسيين.

الأول: أن تلك الشعوب التي تحركت بفعالية وتحررت من الشمولية كانت تتمتع بنسبة عالية من التعليم. ومستوى عال كذلك من الوعي، ثم وهذا هو المهم أن تلك الأنظمة على شموليتها القاسية قد أقامت مؤسسات مدنية حقيقية اعتمدت عليها أول الأمر، ولذلك ما كادت القبضة الحديدية للأنظمة أن تتراخى بفعل ضغط تلك المؤسسات إياها حتى أنطلق المارد المزود بوعيه وعلمه ومؤسساته القادرة على التغيير وقيادته ابتداءً من انتفاضات المجر، وربيع براغ. وليس انتهاء بانتفاضة بولندا التي واجهت فيها مؤسسة العمال البلوتارية مؤسسة الجيش للنظام الشمولي..

وذلك لم يكن وليس هو الحال عندنا. كذلك فأن تلك المجتمعات قد خضعت لتجربة واحدة طويلة، ولكنها واحدة ظل الأمل في الإنعتاق منها قويا غير مصاب بالخيبة المتكررة التي أصابت شعوبنا مع تعاظم الأمية والفقر باليأس والإحباط..

أما السبب الثاني: فأظنه خارجياً: إذ حشدت القوى الأمريكية والأوروبية كل طاقاتها للتأييد والمساندة والاحتضان وفتح الأبواب المغلقة.. وليس كذلك هو الحال عندنا الذي أريد له أن يتغير من خلال الأنظمة إياها تجميلاً للصورة لا تغييراً للواقع... ولهذا استبعد هذه الفرضية.

ثالثها ـ الفرض من الخارج:

ولا أظنني بحاجة إلى الإفاضة في هذا، لأن التجربة الماثلة في العراق تغني عن كل إفاضة أو مقال. أما مثال اليابان التي طرح عليها "الدستور" بعد هزيمتها في الحرب، فأن الشروط الموضوعية لتطور كهذا كانت مهيأة هناك من جميع النواحي فتقّبلهُ كان استجابة لحال داخلية مهيأة في لحظة مناسبة قبل أن يكون فرضاً خارجياً من شروط الاستسلام وليس الحال كذلك في مجتمعاتنا. والإتيان بمثال ألمانيا خطل كله. إذ من البديهي منطقاً أن لا قياس مع الفارق!

إذن فمن؟

لقد آن أن تتجه الجهود إلى "الإنسان" إلى المواطن ممثلاً في "تجمعاته الاجتماعية" ومؤسساته المدنية لإيقاظ قواه الروحية من سباتها وإطلاق إرادته من أسر الاستسلام والإحباط وإنارة وعيه باعتباره صاحب القرار ومصدر القوة، وإخراجه من ضيق انتماءاته وتكويناته البدائية – عشائرية وأسرية وطائفية ومناطقية – الخ إلى رحابة القضية الجامعة وسعة " المشروع" الموّحد! وبذلك وحده يتم تكوين رأي عام. يتحرك مع التأريخ في اتجاهه الطبيعي ويطلق فعاليته لتحقيق أهدافه، ويعيد بناء مؤسسات مجتمعه المدني ويجدد ما تهاوى أو تداعى منها..

كيف؟

إن معظم النار من مستصغر الشرر: وعليه فأن الفكرة يجب أن توجد، وليكن في شكل "مشروع نهضوي" تتفق عليه القوى أو الأشخاص الرواد، ثم تبشر به وتعمل من أجله..

إن التجربة البشرية المتنوعة. تمدنا بأمثلة شتى على ذلك، في طليعتها الرسالات السماوية التي بدأت كلها بشخص أو كلمة.. ثم عم نورها الأرجاء..

وكذلك هي الحركات الكبرى في التاريخ – بصرف النظر عن بواعثها – الأفكار أو وسائل الإنتاج – أنما تبدأ بفكرة من شخص.. ثم تنتشر فتصبح حركة في التاريخ. فمؤسس "الماركسية" شخص. عبر عن فكرته ودعا إليها مع زميل له. فانتشرت وأوجدت لها مؤمنين، حولوها إلى دعوة وإلى حزب ثم إلى حركة أثرت بشكل أو بأخر على العالم المعاصر..

وليس هنالك ما هو أكثر خطاءً وأبعد عن معايير الصواب والصحة وأوغل في الضلال البعيد من الصهيونية. ومع ذلك فقد بدأت فكرة.. ما لبثت ـ على بطلانها الجلي ـ أن استكملت شروط الوجود والتحقق على أيدي نفر آمن بها وإذا بها تلعب الدور المدمر الذي نراه الآن..

ويمكن القول نفسه عن النازية.. أو الفاشية؛ فليس المعيار هو الصحة أو البطلان. وإنما هو التعامل بفهم مع قوانين التاريخ وسنن الاجتماع؛ فقد ينجح الباطل حيث يخفق الحق والعكس صحيح.. وفقاً للأخذ بالأسباب واستكمال الشروط وإتباع السنن..

ولماذا نذهب بعيداً:

أن ما يطلق عليه حركة النهضة في تاريخنا المعاصر أنما بدأت بصيحة شخص دوت في الأفاق هو جمال الدين: جسد فكرة هي فكرة النهضة القائمة باختصار – على التحرر من التقليد في الفقه ، والتحجر في الفكر، والاستبداد في الحكم – والجور في المجتمع في الداخل. والاستقلال ومقاومة الاستعمار والهيمنة بأشكالها في الخارج.. فإذا بها حركة من أجل الاستقلال في الهند، ومن أجل الدستور في إيران. وإذا بها حركات واعدة في عالمنا العربي بالذات دارت بها عجلة التطور والإصلاح فثورة عرابي في مصر والحزب الوطني كذلك والكواكبي وحركة العهد في الشام، وانطلقت ثورات الخطابي في المغرب، والسنوسي والمختار في ليبيا وثورة العشرين في العراق وتلقف الفكرة بن باديس في الجزائر وانبثقت الثورة الجزائرية وقامت في اليمن أول ثورة داخلية من أجل الإصلاح وبناء الدولة على أساس دستوري إسلامي معاصر!

ومن ناحية أخرى قامت نهضة أدبية وفكرية تبشر بالخير العميم فأصبحت جانباً مكملاً من جوانب النهضة التي تتكامل. وفي المهجر نشئت "الرابطة القلمية" وأدت دوراً رائداً في نهضة الأدب العربي في الوطن الأم وفي وطن المهجر معاً وقد بدأت بها ثلة صغيرة ثم أصبحت تياراً أدبياً أو قل مدرسة أدبية واسعة الانتشار..

هذه أمثلة من الواقع تنبؤنا أن في وسع "مشروع" للإصلاح تتفق عليه طليعة هي موجودة أصلاً وناشطة فعلاً ينقصها الاتفاق – أن يبعث الحياة في الجسد المتهيئ لليقظة، ويضيء الطريق أمام الجمهور المتحفز.. فإذا الذي كان أملاً يصبح عملاً وإذا الذي كان سراباً يغدو ماءً تحيا به الأرض بعد موتها..

هذه إذن هي الجهة المرشحة لإحداث التغيير أولاً ومن ثم تحقيق الإصلاح المنشود حيث تفتقد الوسائل الأخرى للتغيير صلاحيتها..

ولقد تجنبت – قاصداً الإشارة إلى بعض وسائل التغيير كالانقلابات العسكرية لأن ضررها أكبر من نفعها ولأنها هي نفسها بحاجة إلى التغيير..وكذلك تجنبت الإشارة إلى الثورة الشعبية وذلك لانتفاء شروطها وظروفها..

وتبقى فقط الحركة السلمية الديمقراطية المتصاعدة مسلحة بالوعي والعزيمة الساعية إلى أهدافها ابتداءً من الإصرار على ممارسة الحرية، وانتهاءً بالعصيان المدني ممهدة بذلك كله "لمشروع" الإصلاح المنشود.

لقد أشرت إلى الملامح الرئيسية "لمشروع" لا أظن الخلاف قائماً عليه بين الداعين إلى الإصلاح. أما الشروط المطلوبة لنهضة حقيقة من وراء ذلك الإصلاح فأني أرى أن مفكراً عظيماً هو: مالك بن نبي قد أغنانا عن الحديث في ذلك فقد أعطى ذلك الموضوع حقه على نحو ينوء لعلم الاجتماع أصولاً عربية إسلامية، إلى جانب كونه منهجاً وطريقاً إلى أي نهضة يدخل بها أي مجتمع عالم الحضارة وذلك في كتابه العظيم: "شروط النهضة" الذي لا غنى عنه في هذا السبيل..

وبعد:

فأننا في منطقة هبطت فيها وانطلقت منها الديانات والرسالات الكبرى، ونبتت والتقت فيها الفلسفات والحضارات الكبرى، واصطرعت وتصطرع عليها وحولها القوى الكبرى،.. فلا يمكن، والحالة هي هذه، أن نفكر في تغيير أو نستهدف إصلاحاً بمعزل عن هذه الحقائق المستقرة في عمق الضمير العام، الراسخة في التركيب النفسي والاجتماعي للجماعة المتواصلة في النسيج الحي للتاريخ المتمثلة في حقائق الجغرافيا كما في وقائع التاريخ..

وفوق كل ذي علم عليم
والحمد لله رب العالمين،،،

---

[١] طارق البشري، في المسألة الإسلامية المعاصرة- الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر، القاهرة: دار الشروق الطبعة الأولى ١٤١٧/١٩٩٦، ص ٩٢-٩٣.

*ندوة في "مركز الحوار العربي" – واشنطن – الأربعاء ١٣/٥/٢٠٠٩

*تم نشر الحاضرة بتاريخ الاثنين، فبراير ٢٧، ٢٠١٢ في مدونة محمد قايد الجازوزي

كلمة عن الشعر والشاعر
قاسم بن علي الوزير

بقلم : الدكتور راشد المبارك

ليس ما يأتي في هذه السطور دراسة لشعر الشاعر ولا ترجمة لصاحبه فلذلك مقتضيات وأدوات لم أقصد إليها ، وإنما هي كلمة عن الشعر وانطباعات عن الشاعر أملتها معرفتي الطويلة به وبأسرته ،وخلطة سعدت بها به وبإخوته وفي مقدمتهم أخوه الجليل إبراهيم ذو التميز في عقله وفضله ومكانته ، ومثله أخوته الأجلاء .

وهي ليست تعريفاً به فهو عَلَمٌ في دائرة معارفه وآلافه ، وهي دائرة تمتد على أطراف الوطن العربي وتتسع لتشمل العالم الإسلامي وخارجه . فالشاعر وأسرته ينحدرون من دوحة تضرب في أعماق تاريخنا بما يحويه نسيج هذا التاريخ من علم وثقافة وجهاد ، ومن يعرف قاسم بن علي الوزير يعرف أنه يصعب ، إن لم يتعذر ، أن يكتب عن شعره منفصلاً عن الحديث عن ذاته ، ذلك أن شعره مرآة صافية لذاته ، وانعكاس لهذه الصفات في خلالها وسجاياها ، وهي سجايا يمكن أن تلخص في ثلاث مفردات هي : العطاء والصفاء والوفاء . .

عن الشعر

والشعر ألصق الخصائص الإنسانية بالإنسان.

قد يبدو هذا القـول غريباً من حيث كونه يجعل مما هو ألصق خصائص الإنسـان ينفرد به بعضهم عن سواه.

الواقع يقول نعم.

– الإنسـان يشترك مع سواه من الأحياء مما يأتي متخلفاً بياناً في سُلَّم تصنيف الأحياء.

– – النبات والحيوان يشتركان مع الإنسان في كثير من صفاته.

– كل مـن النبات والحيوان يتغـذى ويتنفّس ويتكاثـر ويتحـرك ويحس بل وينفعـل، وكذلك الإنسان.

– والحيوان يشارك الإنسان في التفكير على درجة من درجات هذا النشاط من مناشط الكائن الحي.

– لعل الشيء الوحيد الذي لم يظهر – حتى الآن – مشـاركة غير الإنسان للإنسـان فيه هو(الطرب) بجناحيه الحزن والفرح.

– ملامح الإنسـان قد تبدي عليه ما هو عليه من حزن أو فرح، ولكن اللغة أقوى وسائل التعبير عنهما.

– اللغة ألصق الأشياء بكينونة الإنسان من حيث كونه مخلوقاً اجتماعيا، لولا اللغة لما كان للإنسان علم ولا فن ولا أدب ترى، بل لم يكن له تاريخ.

– الشعر أنغام اللغة مصوغة في كلمات، وهو المنفذ الأقوى والأفعل تعبيراً عن(الطرب) ودفعاً إليه.

– لو اطردت الطبيعة البشرية لكان الشعر لازمة من لوازم الإنسـان وكانت مفردة(إنسـان) تعبيراً مرادفاً لمفردة(شاعر).

– لو اتفق البشر في طباعهم، لكان الشعر الواحة التي يستظل فيها كل فرد عن وهج الشمس ويستريح فيها من عناء السفر ويستروح منها أنفاس الشجر.

– من الصحيح أن القدرة الشـعرية – مهما علت – ليست مقياساً وحيداً للعبقرية والتفوّق، ولو كان الأمر كذلك لما وجدنا نماذج مـن النبوغ والتفوّق لا يربطها بالشعر رباط. على أنه من المؤكد أن الإبداع في الشعر أكثر أنواع النبوغ قرباً إلى القلوب.

– ذا كان القـادرون على إجادة الشـعر قلّة من الناس، فإن نسـبة كبيرة لما سبق من أن تُصغي إليه وتنفعل به، وتجد فيه أبهج : منهم. أسباب.

– مما يميز النص الشـعري في وَقْعه على النفس وتأثـيره فيها ما يحمله من موسـيقى وبما يضمه الوزن والقافية من إيقاع.

– تجريد الشعر من الوزن والقافية، أي تجريده من إيقاعه سـلب لأهم عنـاصر مقوماته وعناصر جماله.

– في عالم المـادة توجد مقاييـس كمية تتعلق بالموضوع ولا صلة لها بالذات التي تقوم بالتقويم أو القياس أو إظهار الصحة والخطأ عن طريق الانشقاق الرياضي، هذه الوسـائل تحدد طبيعـة الموضوع ومقدار التوصيـل الكهربي والحراري لمعدن ودرجة غليان وتجمد مـادة والنشاط الإشعاعي لعنصر مشع وعمر النصف له أمور تبين عنها التجربة ولا صلة لها بالمجرب.

– في تقويم الشـعر وتمييز جيـده من رديئة لا توجد مثل هذه المقاييس في دقتها وصرامتها، إذ هي علاقة تفاعل بين المرسل والمستقبل. ما يذكره النقاد الأقدمون والمحدثون من المحسنات البديعية وديباجة اللفظ وأثر الصورة الشعرية وغرابة المعنى أو جدته أو طرافتـه، وكذا الموسـيقى الداخلية التي يضعها النسب بين الكلمات وما للغموض والرمزية من قيمة لدى بعض النقاد أمر له مكانته عند النظر إلى النص الشـعري علماً أنه – مع ذلك – أمر مختلف في تأثيره ووقعه، وبالتالي تقديـر أثره باختلاف المتلقين لذلك النص.

– على أنه يبقى قبل ذلك وبعده، حد مشترك بين الناس متى توافر في النص الشـعري أمكن تصنيفه، وهذا ما جعلهم يصلون إلى إجماع أو شـبه إجماع في وضع الشعراء في مراتبهم.

عن شعر الشاعر

لعل أول ما يستوقف القارئ لشعر الأستاذ قاسم هو طابع الحزن،لأنه إلى الحـزن صار ومن الحزن انبعث، ولا نجد ذلك غريباً من شخص مثل المتحدث عنه، ذلك أنه إذا كان الشـعر ـ بطبع شاعر، وأقوى العوامل المشـعلة لمشـاعره، وأكثر ما يلح الحزن ويفيـض عندما يرزأ المرء بفقـد حبيب أو الثكل في قريب أو انهيار مجد وتضعضع تاريخ، ولأن شاعرنا محبّ ومحبوب اتسـعت دائـرة خلصانه ومحبيه، واتسعت – تبعاً لذلك – دائرة فقده، جاء أكثر شعره قصائد رثاء أو إشـارة لتاريخ قد شاخ، واتسع ذلك باتسـاع دائرة هذين الباعثين. لقد عشـق تاريخه فأشجاه وأبكاه وأحب آلافه في حياتهم ووفى لهم بعد مماتهم غابوا عن ناظره واحتفظ بهم ذكرى لا تغيب عن مشاعره، يشعر بذلك شعوراً عميقاً حتى ليجعل هذا الشعور الحزين بعض مواهبه:

حزين؟ نعم والحزن بعض مواهبي
فلا تسألي عني سلي عن مصائبي
تجرعتها طفلاً صغيراً و يافعاً
وكهلاً لقـد أتعبت حتى متاعبي

وتجرعه المصائب في طفولته وشبابه ليس حديث اسـتعارة أو كناية، بل واقع وممارسـة، لقد عرف السـجن وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره، وعرف البعد عن الأهل والوطن – ولا يزال – أكثر سني عمره، عرفته الحركة ولم يعرفه الاسـتقرار، وصرفه الترحال ولم ينعم بهدوء بال. ومع ما تقدّم فقد تميز شعر الأستاذ قاسم بميزات عديدة لعل أبرزها التالي :

الأول : تميّز في الرثـاء، بحيث يمكن أن يُعد هو وبدوي الجبل – رحمه الله – شاعري الرثاء في ديوان الشـعر العربي، لما يتميز به رثـاء كل منهما بكونه شجي الجرس، صادق النبرة، متوهج الالتياع.

الثاني : قـدرة ظاهرة على توظيـف المفردات توظيفاً جديداً وفريداً،لتـؤدي وظيفتها أقوى أداء، وكأنه جعل مفردات لغته تمر من خلال غربال يختار لكل غرض ما يلائمه من المفردات.

الثالث: ابتكار لمعان أجادها وبرز فيها.

الرابع : تأمل فلسـفي و استنباط لم يفطن إليه كثيرون.

الخامس : كلـف بوطنه ووله إليـه، وحنين لا ينطفئ إلى ما يذكره بـه من صبابات ولبانات، وهو وله تتمنى والهة أن تصوغه رسائل إلى حبيبها.

الميزة الأولى : كثيرة في ديوانه، مثل قوله :

حزيـن ؟ نعم والحـزن بعض
مو ا هبـي
فلا تسألي عنّي سلي عن مصائبي
تجرعتها طفلاً صغـيراً و يافعاً
وكهلاً لقـد أتعبت حتى متاعبي
بكيت الرفاق الذاهبين فلـم أدع
دموعاً لعـين أو وجيبـاً لنادب

وقوله :

يكتب الموت كل يوم من الشـعر
فنونـا تهمـي أسى وتـروع
بعض أوزانـه النواح وبعض
مـن قوافيه في القبـور ضجيع
مـا وضعنا يداً عـلى الجرح إلا
سـال جرح على الشـفاء منيع
كل يـوم مـودع لحبيـب
بعضُ نفسي يمضي وبعض جزوعُ

بـكاء الرفاق الراحلين بكاء لا يدع دموعاً لعين أو وجيباً لنادب، وثيقة لا تدحض على مدى الإحسـاس ببلاغة الجرح وعمق المصاب، ولا يخفى ما في البيتين الأوليين من معنى مبتكر عن نوع الشعر الذي يجيده الموت أما البيت الرابع فهو تكثيف للحزن شديد يذكر بقول الأول :

دفنت بنفسي بعض نفسي فأصبحت
لنفـسي منهـا دافـن ودفين

الميزة الثانية: شائعة في شعره كشيوع الأولى وهي القدرة على توظيف المفردات توظيفاً جديداً، ومن ذلك قوله :

العاكفـون على السـلاح عبادة
الراكعـون على الجهاد السـجدُ
القارئـون المـوتَ رتَّـل بعضه
ناج وجـود بعضه مستشـهد
الثابتـون عـلى العنـاق كأنها
في بـدر ترتجل الحتوف وتنشـد

أحسب أن مثل هذا الشعر نمط قل أن يرقى إليه

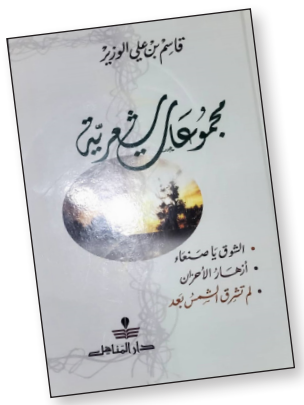

شاعر، والاعتكاف والسجود على الجهاد والسلاح نوع من العبادة فريد، كما أن قراءة الموت وترتيله – جهاداً – إسباغ للقداسة على الجهاد لا أعرف أن شاعراً قبله تحدث عنه.

الميزة الثالثة: ابتكار المعنى، وديوانه روض تورق فيه المعاني المبتكرة وتزهر، ومن ذلك الأبيات السابقة في وصفه للجهاد، والمعاني المبتكرة التي مرت في هذا المعنى موهبة لا توجد إلا في قلة ممن يقول الشـعر فيحسنه، واعتبار صليل السـيوف صلاة ومواضع الجراح مسـاجد أمر لا يعرفـه إلا قلة من القائمين والصائمين والركع السجود على أن قوله :

بعـض دمعي مـزن وينبت منه
في حقول الأحـزان وشي الورود

صورة شعرية تستدعي إلى سرادق الحزن مفاتن الجمال، وكأن الشـاعر يريد أن يكشـف من ظلام الحـدث ما تراكم من أحزان. الميـزة الرابعة : وهي التأمل الفلسـفي واسـتنباط معاني لم يفطن إليها الكثيرون، فمن ذلك قوله :

يجادل فيك المـوتُ معنى حدوثه
وفيك رأى معنى الخلود المصاحب

فهذا البيت زفرة أسى واحتجاج إشـارة إلى ما لا يفهم من أ والغايات، وهي زفـرة لا يجد المرء ملاذاً عنها إلا في الإيمان بالغيب مما لا تزاح عنه السـتور، ومن المؤكد أن من الأفراد من يكون خلوده في رحيله، ومن يكون ذكره نبات تتعاقب على سـقيه وإحيائه القرون.

الميزة الخامسة : وهي الحنين إلى ماضي لم يبق من مجده إلا تذكره وبناء لم تبق من مقاصيره إلا أطلال، وهو حنين يملأ عليه جوانح نفسه يسامره في يقظته ويساهره عند هجعته.

الخيـول المطهمـات سـبايا
فذليـل بذلهـا المهرجـانُ
والسيوف التي استضاء بها التـا
ريـخ أزرى بها الوريـث الجبان
أين منا الأقـصى ويبكي المصلو
ن ونعـي عنـد الأذان الأذان

الذي يقرأ هذا الشعر يسـمع منه قعقعة اللجم وصليل السـيوف وبـكاء المصلين، وهـذه الأبيات تستدعي رائعة شوقي(قم ناج جلق و انشد رسم من بانوا)

والتي قال فيها عن دمشق إبان الاحتلال الفرنسي لها :

مررتُ بالمسـجد المحزون أسأله
هل في المصـلى أو المحراب مروان
تغير المسـجد المحزون واختلفت
عـلى المنابر أحـرار وعبـدانُ
فـلا الأذان أذان في منارتـه
إذا تعـالى.. ولا الآذان آذان

مع اشـتراك هذه الأبيات مع سابقتها في الدواعي والمعنى وشحنة الأسى، فإنه من الواضح أن نبرة الأسى أشدّ حدّة في أبيات الأسـتاذ قاسم إذ إن وقع المأساة أشدّ أثراً حالة يكون فيه الأذان نعياً.

الميزة السادسـة : ظمأ لا يرتوي إلى مرابع لهوه ومرابع صباه، ووله إلى صبواته ونشواته، وقد صاغ ذلك في كثير من شـعره وأبدعه في رائعته(صنعاء) التي جاءت من عيون الشعر في ديوان الشعر العربي، والصورة التي نسـجها تجعل قارئها يتساءل : أذلك واقع معاش أم منى متخيلة ؟ وسواء كان هذا أو ذاك، فقد أتحف الشـاعر قارئه بأنـضر اللوحات تموج بالصـور والألوان، وأنضَر ما تجـود به الحياة من نشوات :

صنعاء هل في الندي السـمح أسمار
كما مـضى من ليالينا وسـمارُ ؟
و هل رخـي العـشايا مثل عادتها
شعر وأشواق عشـاق وأسرار؟
تفْدِي الحسان الجميلات التي التحفت
بمئـزر الليـل أرواح وأبصـارُ
صنعاء أغفت على الأزمان فتنتها
فدونها من وراء السـور أسوار
إذا مشيت على حصبائها همست
شـعراً وباح بسر الشوق قيثار
تندى الأصائل من شـعر ومن طرب
وتنتـشي برحيق الذكر أسـحار
ينسـاب كالبرء من عالي مآذنها
في هـدأة الليل تسـبيح وأذكار

يمضي الشـاعر مكمّـلاً قصيدتـه التي تبلغ الخمسـين أو نحوها من الأبيات، وكلها مما يسميه القدامى الديبـاج الكسرواني، يجد القارئ فيها تلك النسـمات الرخية من رياض البحـتري وصياغات بدوي الجبل وقدرته على استدعاء جواهر من مفردات اللغة تكون بانتظامها عقداً فريداً لا تملك عقود اللؤلؤ نضارته، فجمع الندي السمح ورخي العشايا والشعر والعشاق والأشواق والسـمار والأسرار في بيتين من الشـعر منظومة نظماً فريداً في عقد جميل يشعرك بالنسـب بين هذه المفردات، بمعنـى أن كل واحدة تستدعي قرينتها بحيث لو أردت أن تحذف أي مفردة لتضع مكانها سـواها لذهبت مـن العقد نضارته. وأحسب أن القارئ سيشعر من قراءة هذه الأبيات بما تشعره به لمسـات النسـيم أو أنفاس الشجر. أما اختياره لمئزر الليل غطاء لحسانه كناية عن التخفي، فهو تناول لذلك المعنى من ذوق شاعر مرهف. ولعل ربة العشق والغزل تلك الأموية من سلالة الخلفاء، قد كانت أكثر وضوحاً وربما جرأة من حسـان الشاعر، وقد سبقتهم بأكثر من تسعة قرون عندما كتبت لابن زيدون تقول :

ترقـب إذا جن الظـلام زيارتي
فإنـي رأيـت الليل أكتـم للسر
وبي منك مـا لو كان بالنهر ما جرى
وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

أما قوله :

إذا مشيت على حصبائها همست
شـعراً وباح بسر الشوق قيثار

يجعلني لا أخال مدينة أخرى لا تتمنى أن تكون صنعاء ليقال فيها ذلك الغزل أرسـله ناسـك من محراب عشقه، أما قوله :

ينساب كالبرء من عـالـي مآذنها
في هـدأة الليل تسـبيح وأذكار

فهو يستدعي إلى الذهن قول أبي نواس :

وتمشـت في مفاصلهـم
كتمـشي البـرء في السـقم

على اختلاف في الغرض والموضوع.

في هذا البيت يلاحظ القارئ أن الشـاعر لجأ إلى الإضمار قبل الإظهار، إذ جعل التسبيح والأذكار فاعلاً للفعل ينسـاب ولم يجعله حالاً منصوباً، ولا ضير في ذلك. وبعد، فقد سـبق لي أن قلـت في حديث لي عن المتنبي إن الأدب العربي خـسر مرتين، مرة حين لم يعشق المتنبي عشقاً يملأ عليه أقطار نفسه وترك هذه النفس محبوسـة على أطراف القنا) كما خسر الأدب مرة أخرى إذ لم يتعرض شـوقي لصروف وظروف تستثير أحزانه، وظنّي أنه لو تعرض شاعرنا للواعج العشاق ولوافح الهجر ونسمات الوصال لجاء في ذلك بما يوقظ الغافي من الأشواق، ولعل ذلك يفسر أن ما جاء من شـعره متعلقاً بالغزل هو أقرب إلى الصنعة منه إلى اللوعة وإلى المحاكاة منه إلى المعاناة، ومع ذلك يبقى قاسـم بن علي الوزير شـاعر المعنى المعجب والسبك المطرب الناقد لشعره مشترطاً له لا مشترطاً عليه في مقاصده وغاياته، واعتقادي أنه ظلم عشـاق الشـعر ومتذوقيه عندما حجب أو حبس عنهم مدة طويلة هذا النبع الرقراق.

القاسم حاضراً رغم الغياب

عبدالغني العزي*

نعم القاسـم بن علي الوزير ،حاضراً بيننا اليوم بمآثره وفكره وشـعره ونثـره ومبادئه وتطلعاته وأهدافه رغـم أننا نعيش الذكرى السـنوية الأولى لغيابه .

كيف لا يكون حاضراً وهو القاسم المشترك بين فئات الشـعب اليمني ومكوناتـه المتنوعة ثقافيا والمتعددة سياسيا .

كيـف لا يكون حـاضرا وهو والمفكـر الكبير والشـاعر البليغ والأديب اللامع والسياسي المحنك المعروف لدى الجميع قويـا في الحق ليناً في الطبع متسامح قولا وعملا مع الجميع .

نعم إنه القاسـم الذي ظل يحمل هم أمته التي تتقاذفهـا الأمواج المتلاطمة وتعبـث بها التيارات المتصادمة .

أمة قزمتهـا أنظمة الجور والظلم والاسـتبداد وروضتها للأعداء، فأصبحـت أمة تابعة لا متبوعة منقادة لا قائدة.

تحل علينا اليوم الذكرى السنوية لرحيل القاسم بن على الوزير رغم مرارتها ،إلا انه لابد أن نجعلها ذكرى ملهمة لجيل الحاضر والمسـتقبل لنصنع من خلالها جيلا قاسـمياً عصامياً يسـتطيع تخطي الصعوبات وقـادرا على تذليل العوائق يعمل بصبر وثبات وإصرار للوصول إلى الآمال وبلوغ التطلعات التي رسـم ملامحها القاسم ،وظل يحلم بتحقيقها مع ثلة من المؤمنين ورفاق الدرب الصادقين الذين رحل الكثير منهم إلى جوار ربه ومنهم من ينتظر .

رفاق الـدرب شركاء النضال دعـاة الانتصار والإصلاح و حملة الفكر المستنيرين الذين لم تقيد أفكارهم قيود المذاهب ولم تحجز تحركهم حواجز الطوائـف، فتخطوا بإصرارهم حـدود الجغرافيا السياسـية، فعاشوا سـعة الدين الواسعة وحملوا مبادئه الشاملة للعالمين.

هذا هو القاسـم بن على الوزير الذي رثيناه حين رحيله قبل عام وها نحن اليوم نرتشـف من معين أفكاره المتجددة في كل ما من شأنه الارتقاء بالأمة كل الأمة إلى مصاف الأمم القوية التي تعد أرث حضاري وثروة فكريه لهـا قيمتها الروحية والمعنوية والتي يجب الحفاظ عليها و الاستفادة منه والاعتزاز بها كما بقيـة الأمم الأخرى التي تعتـز بمآثر ونتاج عظمائها .

لقد ترك رحيل المفكر الكبير القاسم الوزير فراغا شاسعا في المسـاحة الوطنية المحلية والإسلامية لن يملؤها إلا هو في مختلف المناحي ثقافياً وسياسـياً، لهذا فإننا حينما نتذكره مـن خلال أفكاره أو من خلال حلول مناسـبة ذكرى رحيله السنوية فإننا نشعر مع كل ذكرى بمواجع الغياب وآلام الفراق ولولا أن الرحيل سنة الله تعالي في خلقه لقضينا أيام وليالي ما بعد رحيل القاسم حزنا وكمدا حتى نلحق به إلى الرفيق الأعلى مع الأولياء والصالحين وحسـن أولئك رفيقا ، وعزاؤنا أيها القاسم العملاق في ذكرى رحيلك السـنوية الأولى أن نؤكد لـك ولمحبيك أنك سـتظل وهجا يتلألأ وقبس يضـئ حالك الظلام الدامس الذي تعيشه الأمة اليوم ،والتي أفنيت زهرة شـبابك وريعـان عنفوانك تسـتنهضها وترجوا إيقاضهـا من سـباتها وغفلتها وتعمـل جاهدا لتصحيح مسارها المعوج.

رحمك الله أيها الشامخ حاضرا وغائبا ورحم الله رفاقك وعظمـاء جيلك الذين لحقـت بهم راضيا محتسبا كل محنك وما وما تعرضت له وما لاقيته في مشـوارك الجهادي رصيدا لك عند الله سـبحانه وتعـالي الذي قال في محكـم التنزيل (ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) صدق الله العظيم .

---

* **رئيس فرع اتحاد القوى الشعبية اليمنية ... بصعده**

AL SHOURA
الشورى
الشورى في الأمر • العدل في المال • الخير في الأرض
عدد خاص - بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل
الأستاذ القاسم بن علي الوزير رحمه الله
الثلاثاء: 22 ذي القعدة 1446هـ - الموافق: 20 مايو 2025م

الضوء الذي لا ينطفئ

الأستاذ/ محمد صالح النعيمي *

في الذكرى الأولى لرحيل القامة الوطنية المفكر والأديب القاسم بن علي الوزير – رئيس المجلس الأعلى لحزب اتحاد القوى الشعبية اليمنية – وأحد الشخصيات الهامة المؤسسة للحزب ومنهجه الفكري مع أخيه المفكر إبراهيم ابن علي الوزير – رحمة الله عليهما، لا نكتب هنا عن نهاية حياته، بل عن استمراريتها، نكتب لأننا نُدرك أن من يفكرون بعمق، من يكتبون بصدق، لا يموتون كما يموت الآخرون، لا يموتون بانطفاء أجسادهم، بل يبدؤون حضورًا من نوع آخر، حضورًا يُربّي فينا الإحساس بالمسؤولية، إنهم يعودون إلينا في كل مرة نفتقد فيها الوضوح في متطلبات مسار التحرر، بمعناه الفكري والفلسفي لنهضة الأمة وتحررها من التبعية والارتهان، فنحن بحاجة أن نعيد قراءة تاريخه السياسي وتجربته، لا بوصفه تاريخًا نرثيه، بل نموذجًا نقتدي به، ومدرسة ننهل منها، فمنهجيته الفكريةوالمعرفية التي تمزج بين المنهج القرآني ومتطلبات التطور العلمي العالمي، يمكن أن تُشكل مخرجًا لكثير من الحيرة والتيه الذي نعيشه.

القاسم الوزير كان أولاً: قائداً سياسياً، قاد الجهاد والنضال السياسي منذ شبابه، وثانياً: مفكراً وفيلسوفاً وأديباً محترفاً، وكان شجرة ذات جذور بعيدة، تظلل الفكر وتبثّ الحياة في الكلمات، أديبٌ يحمل في قلبه فلسفة، وفيلسوفٌ يكتب بقلب أديب، لقد كان بحق حامل مشروع نهضوي متكامل، مشروع يرى في الإنسان محورًا لكل تغيير، وفي العقل أداةً لهذا التحول، وفي القيم ركيزة لا يمكن تجاوزها مهما تعقدت الظروف، لذلك، فإن ذكرى رحيله ليست لحظة حزن، بل وقفة للتأمل في هذا المنهج الفكري وفرصة لاستعادة دروسه في زمن يتطلب أكثر من أي وقت مضى أن نعود إلى أمثاله.

وفي أكثر من موقف، تحدث القاسم عن أن المجتمعات لا تتغيروحدها، بل بثقافة تقاوم التخلف وقابلية الاستبداد والارتهان للاستعمار، وتؤمن بنهج تحرري متكامل، وترسّخ العقلانية وتحكمها مرجعية القرآن الكريم، وترفض العنف والتعصب والتهميش، ولذلك،لم يكن يتعامل مع نهضة الأمة كمفهوم نخبوي أو نظري، بل كان يرى فيها ضرورة حياتيةووجودية و"معركة للكرامة والحرية" من أجل التحرر من التبعية والارتهان للهيمنة الاستعمارية للنظام الصهيوني الغربي بكل تفاصيله وأدواته وممارساته الاستعمارية، ومن أجل جعلها أمة فاعلة في الدورة التاريخية للأمم،تبدأ من الداخل، من بناء الإنسان نفسه، ولذلك ظل يدعو إلى "نهضة داخلية"، لا تُختصر في مظاهرات ولا تُختزل في خطب، بل تُمارس في التربية، والتعليم، والإعلام، والسلوك اليومي للفرد والمجتمع وترسخ وفق منهج قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهم ﴾ [الرعد: ١١].

في كتابه الشهير "حرث في حقول المعرفة"، كشف القاسم الوزير عن جانب من سيرته المعرفية، وعن رؤيته لدور المناضل والقائد السياسي والمثقف في مجتمع مأزوم، الكتاب، الذي جاء في شكل مقالات ومحاضرات، ليس مجرد تجميع لنصوص، بل محاولة لحفر مسار في الوعي، وتقديم خطاب ثقافي وفكري لا يستعرض الأفكار بل يُعيد إنتاجها من موقع إيماني لاستنهاض الإنسان والأمة.

القاسم الوزير في هذا الكتاب يدعوا لوضع أسس ومنطلقات لنهضة الأمة وان كان يبدو كمن يزرع في أرض قاحلة، لكنه لا ييأس، يتحدث عن إصلاح انحراف الأمة الإسلامية عن رسالة الاستخلاف في الأرض لا كشعار سياسي، بل كمسار أخلاقي وايماني، وعن النهضة لا كمشروع مستورد، بل كحاجة داخلية لإعادة بناء الذات للأمة وفق المنهج القرآني.

أما بقية كتاباته، من مقالات أدبية، ونصوص تأملية، وقصائد تلامس الجوهر،ومحاضرات عملية، فهي صورٌ عن باطنه الذي لا يعرف الهدوء، وقد ظلّت كتاباته، رغم تنوّعها، محافظة على سمتها الإنسانيّ والفكريّ؛ لا تُفْسدها اللحظة، ولا تُغريها العناوين البراقة، يجمع في فكره وثقافته فكر الفلاسفة العرب السابقين الداعين لنهضة الأمة العربية والإسلامية والخروج من انحراف حركتها التاريخية الميت إلى فاعلية عوامل وشروط نهضتها واستنهاضها، من جهة، والمفكرين المعاصرين من جهة أخرى، لكنه لم يكن تابعًا لأحد، بل نَحَت طريقه الخاص، جامعًا بين الأصالة والمعاصرة، ومستنهضاًرسالة استخلاف الإنسان في الأرض.

في كل عصر، يظهر من يشبه الشعلة: لا يُحرق، لكنه يضيء ويذر الدرب للآخرين، وقد كان القاسم بن علي الوزير شعلة عصره،عاش عفيفًا في فكره، كريمًا في عطائه، نزيهًا في مواقفه، وشجاعًا في مواجهته للزيف والطغيان والاستبداد، وستبقى كتاباته مرجعًا فكريًا وإنسانيًا، لأنها ليست مرتبطة بزمنٍ أو ظرفٍ، بل بجوهر الإنسان وحقّه في فهم العلوم والمعرفة.

دعوتنا اليوم، للأجيال القائمة والقادمة وفي مقدمة ذلك المنتسبين إلى حزب اتحاد القوى الشعبية،أن يقرؤوا القاسم ليستلهمو منه شجاعة التفكير، ونبل الموقف، وسمو الكلمة، فهو مثال نادر للمثقف والفيلسوف والقائد السياسي، لا يتلون، لا يهادن، ولا يُساق، وإذا كان قد رحل بجسده، فإن روحه قائمة، تنبض في كل سطر كتبه، وفي كل عقلٍ أنارته كتاباته ومواقفه وأفكاره ومبادئه.

كما ندعو الى الاقتداء بما مثّله من قيم: الإيمان بكرامة الإنسان، الحرص على الفكرة الصادقة، رفض التزييف، وبناء الوعي على أسس المعرفة بكل تفاصيلها ومتطلباتها لا التلقين، وإذا كانت نهضة الأمة مطلبًا للجميع، فإن رجالا مثل القاسم الوزير هم من يستحقون أن يكونوا مرجعًا في طريقها.

سلامٌ على روحك الزكية يا القاسم، وسلام على كلماتك التي تمشي معنا، وتقودنا، وتفتح لنا في الطريق نوافذ لا تنتهي.

*عضو المجلس السياسي الأعلى

ساعة اليقظة

شعر الأستاذ: قاسم بن علي الوزير

يَحسبُ الظالمون أنْ سوف ينجون
وهيهات يفلت الظالمونا
إن يوماً - ولم يعدْ ببعيدٍ-
سوف يأتي عليهمُ أجميعنا
لن يفر الطغاة من غضب الله
ولن يدرك النجاة الهاربونا
«القلاع» المشيدات حصوناً
سوف تغدو مقابراً لا حصونا

و«الكنوز» المكدسات احتياطاً
سوف تدعو لكانزيها المنونا
والسياط التي بأيدي الطواغيت
ستذكي عزائم الثائرينا
والسجون الملأى سينسل منها
ألف جيلٍ لا يرحم الباطشينا
قد تنام الشعوب حينا..ولكن
تصرع البغي يقظةُ النائمينا

القاسم أمير القوافي

وليد الكيلاني *

أخي قاسمٌ يا أميرَ القوافي *** تجودُ بشعرٍ جميلٍ بفنْ
وتكتبُ دوماً فصيحَ الكلامِ *** وتُخرجُهُ نابضاً للعلنْ
تُرد الفروعُ إلى أصلِها *** وحاضنةُ الشعر أرضُ اليَمنْ
وتعمُرُ بالشعر أبياتُكم *** ومَنْظمَ الشعرَ منكم وَزنْ
حضارتكم قبلَ كلِّ الشعوب *** ومِنْ قبلِ حِميرَ أو ذي يزنْ
أبو الطيب المتنبي المثالُ *** فأجدادهُ من بلاد اليمنْ
بلادُ الشهامةِ أرضُ العطاءِ *** وكانَ بها عِسلٌ ولبنْ
وأبناؤها عُرفوا بالوفاءِ *** وصدق اللقاءِ وحبِّ الوطنْ
وقفتم لها دائما صامدينَ *** ولم تبحَلوا أبداً بالثمنْ
ومهما يجورُ عليها الزمانُ *** ستبقونَ دوماً عليها الأحنْ
محبتُها في صميم القلوب *** وساريةٌ في جميع البدنْ
سلامٌ لصنعاءَ أمُّ الحُصون *** سلامٌ إلى تَعِزٍ وعدنْ
سلامٌ لمأربَ أم السدودِ *** وأم البرُوج وعالي السكنْ
سلامٌ على من يحبُّ السلامَ *** كفانا حروباً كفانا فتنْ
وإنَّ الخلافَ أساسُ العَناءِ *** ومصدرُ كلِّ الأسى والمِحنْ
نباركُ إصدارَكم يا أخي *** وندعو لهُ بقبولٍ حسنْ

* وليد محمد الكيلاني
– أديب وشاعر فلسطيني ولد في مدينة نابلس عام ١٩٣٨. وأتم دراسته الثانوية فيها، حصل على بكالوريس عام ١٩٦١ من جامعة عين شمس، والماجستير في الإقتصاد عام ١٩٦٨ من جامعة ولاية يوتا في الولايات المتحدة
_ شغل وظيفة خبير مالي في البنك الدولي في واشنطن في الفترة ١٩٧٤-١٩٧٧.
– التحق في الصندوق العربي للإنماء الإقتصادي في الكويت كخبير مالي أول خلال الفترة ١٩٧٧-١٩٨٢.
_ هاجر إلى الولايات المتحدة على أثر حرب الخليج في نهاية عام ١٩٩٠ ويعمل رئيساً لمجموعة الشال العقارية في دلاس في ولاية تكساس.
– يكتب الشعر باللغتين العربية والإنجليزية وساهم في ندوات شعرية في عدد من المدن الأمريكية.
– عضو في اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين، ساهم في أدارة العشرات من الندوات الشعرية في عدد من البلدان ، وحاصل على عدة جوائز تقديرية.

وقد أرسل الشاعر العربي الفلسطيني الكبير الأستاذ وليد الكيلاني رسالة إلى الأديب والمؤرخ الأستاذ قاسم بن علي الوزير مهنئا ومباركا للأستاذ القاسم الإصدار الأخير والمتمثل في كتاب "كنوز المعرفة" والذي يضاف إلى مجموع إصداراته القيمة، لرفد المكتبة اليمنية والعربية بالعديد من المؤلفات في مختلف المجالات ، فإلى الرسالة والتي أتبعها بهدية عبارة عن قصيدة مديح للأستاذ والمفكر الكبير القاسم بن علي الوزير..

الرسالة:

إلى أخي العزيز قاسم الوزير وددت أن أكون معكم لأبارك لكم إصداركم الجديد."كنوز المعرفة"وأنت إنسان مبدع ومتعدد المواهب وكنت أقرأ عن حياة أبي الطيب المتنبي ويقال أن أصله يعود الى قبيلة الجعفي من اليمن وبذلك عرفت سر جودة أشعار شعراء اهل اليمن وقد زرت اليمن مرتين عام١٩٧٤ عندما كنت خبيراً في البنك الدولي أرجوا أن تقبل مني هذه "الهدية"

وليد الكيلاني

رسالة إلى القاسم في الذكرى الأولى لرحيله

بقلم / لطف لطف قشاشة*

إلى القامة الإنسانية السياسية الأدبية الفذة..

غالى من عاش ثابتا على دينه مؤمنا بمبادئه رافضا أن يتسلط الزيف على رقاب الأمة مناوئ لقوى الظلام والطغيان حتى لقي الله راضيا مرضيا..

إلى الراحل الباقي بيننا نتنفس وعيا ورشدا من معين أفكاره ومبادئه ورؤاه التي أكتسبها من حرثه في حقول المعرفة وانبتت ثمارا من أصناف الفكر الإنساني بشمولية قل أن يحتويها شخص بمفرده، إلا إذا كان قاسما أو من هو مثل قاسم..

إليك في الذكرى الأولى لرحيلك عن دنيانا إلى آخرتك التي تجد فيها جدك الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم مستبشرا به ومستبشرا بك، فقد استوعبت رسالته الشاملة الإنسانية وتيقنت إنها ثابتة على قواعد العدل والخير والشورى، صالحة للثقلين تجعل الخليفة الذي استخلفه خالقه في هذه المعمورة قادرا على تحمل عبء الإستخلاف، كيف لا وهو الذي خلق في أحسن تقويم..

إليك أيها المرضي عنه، ابعث حروفي الناطقة بكل معاني الإجلال والتقدير لك حينما رأيناك فكرا تتمحور حوله قيم الصدق والثبات والإنسانية سلوكا شخصيا يتحرك في محيط الفكر والسياسة والأدب، ليرسل مع هذه الحركة مؤشرات تضع المتأمل إليك والى عناوين حركتك وسكونك أنها تنظر كمالا بشريا استقاه من حسن منبت أسري، ومن صبر مظلوم تتابعت عليه المحن شتى لأنه إنسان رفض أن يعيش مع التائهين حين حمل موروث التنوير من والده الشهيد ورجالات التغيير المنشود ..

سيدي القاسم بن علي، ما دفعني لمخاطبتك بعد رحيلك هو إنني لم احظ بهذا الشرف وقت حياتك فأنت كنت الحاضر الغائب الحاضر بمشروعه الاتحادي الغائب بجسده الذي آثرت أن تبتعد به عن وطنك لأنك كنت تخشى أن تفقد إنسانيتك إن أنت رضيت بالعيش فيه مع الطغاة والمتسلطين ومعاشر الكهنوت والمتزلفين..

لهذا ها أنا ذا أخاطب فيك عظمة صبرك وعنفوان ثباتك وحقيقة إيمانك بربك وبدين جدك الخاتم..

أستاذنا القاسم، كثيرون هم أولئك الذين تظهر ملامح بروزهم حينما يظهرون على سطح الأحداث بسرعة ويختفون أيضا بسرعة لأن ظهورهم يا سيدي كان بتأثير خارجي ألقى عليهم هالة من التلميع والترويج الممنهج حتى صاروا حديث الساعة أو الفكرة أو القضية الراهنة، ولأنهم من راكبي الموجة فقد وجد المتحكمون الطغاة فيهم ضالتهم فعملوا على تلميعهم لا لأنهم لوامع أو نوابغ وإنما لأنهم راضون بان يكونوا أدوات لمحركيهم، فإذا بهم يرحلون بعد أن يؤدون دورهم المعد سلفا لهم ككمبارس في مسرح الحياة وهؤلاء كثر في مسيرة الحياة يرضون بهذه الأدوار لأنهم لا شيء فيظهرون كل شيء ويغيبون بلا شيء بينما انتم سيدي القاسم ظل تأثيركم طيلة عمركم تأثير الشخصية المحورية في الأحداث المتلاحقة لأنكم بكل صراحة رفضتم أن تكونوا أداة من أدوات الزيف أو أن يختار الآخرون لكم أدوارا لا تتناسب وفكركم وثباتكم وانتمائكم للحقيقة لا للزيف، لهذا ظللتم منبرا للحقيقة ومدرسة للحق في زمن الأباطيل والتظليل..

لهذا يا رضوان الله عليك أخاطبك من دنيانا بعد أن غادرتها وأنت تحمل هم امة جدك آمرا بالمعروف ناه عن المنكر تقف إلى صف قضاياها العادلة وعلى رأسها القضية الفلسطينية ما بدلت في سلوكك هذا ومنهجك تبديلا ..

أخاطبك بعد عام من رحيلك، باعثا إليك تباشير النصر الذي تحرزه قوى الحق والجهاد بعدما تحقق وشاهدت ما تحقق من تباشير طوفان الأقصى بنفسك قبل رحيلك ..

اليوم لم تعد فلسطين لوحدها فها هو شعب الإيمان يقف مساندا لها هو والقوى الخيرة من أبناء امتنا العربية والإسلامية..

ولكن آه وألف آه يا،سيدي فما كنت تحذر منه وتقارعه في حياتك لقوى الظلام والعبودية من أنظمة البغي والدكتاتورية والتسلط والفردية هاهم اليوم يقفون صفا بصف مع الصهيونية العالمية بل ويجاهرون بذلك عيانا بيانا ..

لكن يا سيدي القاسم لن يمروا وحاشا أن نجعلهم يمرون طالما وأننا من مدرستك ومدرسة آبائك وأجدادك مدرسة الحق والجهاد، التي تعلمنا أسسها منك ومن أخيك المؤسس الراحل إبراهيم بن علي الوزير رحمه الله، نقولها بثبات أنهم لن يمروا فهم إلى زوال، وأمة العدل والخير والشورى هي المنتصرة، فنم قرير العين فما تمنيته وجاهدت من اجله أثمر اليوم فتحا موعودا وجهادا مقدسا ..

سيدي الكريم في حياته الكريم بعد رحيله الكلام ذو شجون وفي الحشا داخلي ما فيه فلا زال في تفاصيل الرحلة إلى الخلاص منغصات جمة ،تعيق اتحاد الأمة وحاكمية الإسلام لكننا على يقين أن ما أورثتموناه سيكون خير زاد فقد أورثتمونا التقوى والصبر على المكاره وتحمل تبعات الرسالة الإنسانية فتلقفنا ما أورثتمونا كما تلقفتم ما ورثتموه وسنسير كما سرتم وسنصبر كما صبرتم حتى نلقى الله ورسوله ونلقاكم على العهد..

والله المعين والمؤيد..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

* نائب الأمين العام أمين أمانة الدعوة والفكر

«الاراء المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي اتحاد القوى الشعبية اليمنية وإنما عن كتابها»